أ. د. عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني

شعر الحرب

«قراءة في القصيدة العمانية أيام دولة اليعاربة»

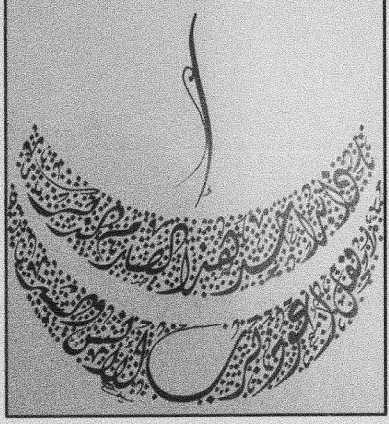

أ. د. عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني

شعر الحرب

«قراءة في القصيدة العمانية أيام دولة اليعاربة»

«دراسة محكمة»

جامعة نزوى
University of Nizwa

جميع الحقوق محفوظة

جامعة نزوى
University of Nizwa

مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية
جامعة نزوى
الحرم المبدئي ص.ب. 33 ـ الرمز البريدي 616
بركة الموز، نزوى
سلطنة عُمان
الهاتف: 25446405 (968)
البريد الإلكتروني: alkhalilcenter@unizwa.edu.om

الطبعة الأولى 2017

ISBN: 978-99969-57-27-7

بالاشتراك مع:
منشورات الجمل
بيروت ـ بغداد
تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

© *Al-Kamel Verlag 2017*
Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

لوحة الغلاف للخطاط العماني سيف الشكيلي
اللوحة بيت شعر:
إذا بدا حد هذا الصارم الذكر فقل أعوذ برب الإنس والبشر
كتب البيت على صفحة سيف الإمام سيف بن سلطان اليعربي

مقدمة

لم يتوقف الصراع بين الحق والباطل منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة، بل تواصل ويتواصل، وما سجله شعراء الحروب الصليبية، ماهو إلا دليل على استمرارية هذا التواصل. «فقد كان لشعر الجهاد أثر بارز في أحداث الحروب الصليبية ومجريات أحداثها، فقد نشط الشعراء في بعث الحميّة في نفوس المسلمين واستنهاض هممهم للجهاد، واسترداد مقدساتهم»[1]. إن حياة الصراع والدخول في المعركة «أجبر الإنسان على ركوبها، بعد أن وجد نفسه يتعرض للتحدي، ويقف أمام خيارين لا ثالث لهما، إما الحياة الكريمة، أو الخضوع لإرادة القوى الباغية التي تسعى لاستغلاله والسيطرة عليه، واستثمار ثروته وجهوده»[2].

إن تتبع أشعار الجاهلين التي سجلت أحداث الحروب الطاحنة بين قبائلهم لدليل على وجود هذا الأدب منذ القدم، فمعلقتي عنترة بن

---

(١) الهرفي، محمد. شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ص٨.

(٢) القيسي، نوري حمودي. شعر الحرب عند العرب، منشورات دار الجاحظ العراق ط ١٩٨١، ص٣.

شداد[1]، وزهير بن أبي سلمى[2] وغيرهما تعد أدبا حربيا إذا اعتبرنا بأن أدب الحرب هو تسجيل للمعركة، وما يحدث فيها قبل وأثناء وبعد، إذن أدب الحرب ليس مصطلحا جديدا كما يظن البعض، بل له تجذر تاريخي منذ العصور الجاهلية.

ثم نود أن نطرح سؤالاً: لماذا سمي هذا النوع من الأدب بالحرب؟ ألكونه أدباً مغايراً لأدب الحب والحكمة والسلام، أم أنه خطاب يشكل في «محموله المتخيل منظومة معرفية تسعى إلى تفعيل حركة الإنسان باتجاه تطوير إمكاناته المعرفية، واكتشاف عالم أو عوالم تخرجه من ثقافة الاضطهاد إلى ثقافة الصحو والتحرر، وذلك ما يؤسس تواصلية جديدة تحرره من تلك القوة التي لا تنتسب إلا لذاتها»[3]. لكننا نقول بأن هذا الأدب ـ الحربي ـ بلفظه المطلق: يتعالق مع مصطلح الأدب؛ لأنه في النهاية أدب تكونه لغة وتركيب وأسلوب، تعيش بين ثناياه لغة التخييل، ويفترق؛ لكونه يعد خطابا مشهديا للمعركة وتفاصيلها.

وعند مناقشة مفردتي الحرب والجهاد، نجد مفردة الحرب أوسع وأشمل؛ لشمولها المدافع عن حقه والمعتدي على الآخر، أما لفظة الجهاد فتحمل بعداً إيجابياً ذا اتجاه واضح، إذ الجهاد أمر

---

(١) شداد، عنترة. ديوان عنترة بن شداد، مطبعة الآداب، بيروت، ت ١٨٩٣، ص٨١.

(٢) سلمى، زهير. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق كرم البستاني، دار صادر بيروت، ص٧٣ ـ ٨٩.

(٣) البدراني، عبد الستار. مجلة أفق الثقافية، أغسطس ٢٠٥.

فرضي - من خلال هذا السياق - دفاعاً عن الدين والوطن. كما أن الإنسان العربي - خاصة المسلم - يرى أن العزة مرتبطة بالاستقلالية لا التبعية؛ ولذلك فرض الإسلام الدفاع عن الأرض إذا اعتدى عليها الباغي. كل ذلك متجسد في السيرة المحمدية التي دعت إلى الإسلام، ودافعت عنه، وما الغزوات التي رصدها التاريخ أيام الرسول محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الذين أتوا من بعده إلا دليل على وجوب الدفاع عن العقيدة ومقدرات الوطن. وهذا ما سجله تراثنا الشعري عامة، وشعرنا العماني خاصة، إلا أن تلك الرؤية الشعرية، لم تنل نصيبا وافرا من الدراسات الأدبية؛ خاصة النقدية منها، إلا ما ظهر من دراسات أدبية ونقدية قليلة[1]، مقارنة بالأنواع الأدبية الأخرى، فما درس من دراسات أدبية ونقدية كان متعلقا بالأدب العربي عامة، أما الأدب العربي في عمان فلم أجد - حسب علمي - دراسات تلامس أدب الحرب؛ على الرغم من وجود نصوص متنوعة خاضت غمار الوصف الحربي، ووصفت حيثيات المعركة، سواء أكانت عن قرب أو بعد؛ ذلك مما دفعني لاختيار هذه الدراسة، من أجل إبراز سياقية النص العماني، وإظهاره للمتلقين، فكان اختياري «**شعر الحرب: قراءة في القصيدة العمانية أيام دولة**

---

(١) هيكل، أحمد. الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، القاهرة، ٢٠١٠. - السيد، حافظ. المسرح السياسي أدب الحرب، ١٩٤٨، الاسكندرية، ٢٠٠٦. - يمنى العيد. الكتابة تحول في التحول مقارنة للكتابة الأدبية في زمن الحرب اللبنانية، بيروت، ١٩٩٣. - شامي رشاد عبدالله. عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر القاهرة ١٩٩٠.

اليعاربة»؛ لكون أئمة اليعاربة كان لهم الفضل في تطهير سواحل عمان والخليج العربي، وسواحل الهند، وأفريقيا من دنس المحتلين البرتغاليين وغيرهم.

لقد تعرضت السواحل العمانية، بل جُلّ سواحل المحيط الهندي للاستعمار البرتغالي البغيض مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وكانت الأوضاع الداخلية في عمان في منتهى التدهور، والصراع السياسي على أشده بين القوى الداخلية[1]. هذه الأحداث عكست أبعادها ـ القاتمة السوداء ـ على عمان في منتصف القرن السادس عشر الميلادي: استعمار للسواحل، وتحكم في الموارد، وحالة من الانقسامات الداخلية وصلت إلى ما يمكن أن نسميه بدويلات المدن، أو كما يحلو لبعض الباحثين أن يشبه الوضع العماني في هذه الفترة التاريخية بملوك الطوائف في الأندلس قبل السقوط[2].

تلك الأوضاع السوداوية نبَهت رجالات وأبناء عمان الأوفياء، فسعوا جاهدين لإخراج وطنهم من وضعية التشتت إلى الوحدة والاتحاد. ففي سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م اجتمعت كلمة العلماء على تنصيب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إماماً على عمان[3]، فكانت

---

(١) البراشدي، موسى بن سالم. الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة، النادي الثقافي، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ٢٠١٣، ص٢٥.

(٢) الهاشمي، سعيد بن محمد. دراسات في التاريخ العماني، النادي الثقافي، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ٢٠١١م، ص٣٧١.

(٣) ابن قيصر، عبدالله بن خلفان. سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، بدون ط ون، ص١٣.

أولى اهتماماته: توحيد الجبهة الداخلية، والقضاء على الانقسامات والصراعات؛ مما كان لتلك الوحدة الأثر الإيجابي، في استقرار الوطن، وتوحيد الصف ضد المستعمر البرتغالي[1]، ذلك المنهج الذي اختطه الإمام ناصر بن مرشد، وسار عليه خلفاؤه من بعده من أئمة اليعاربة، فواصلوا طريقهم في تطهير السواحل العمانية من فلول البرتغاليين، وامتد ذلك المشروع الجهادي في تطهير سواحل الخليج العربي منهم[2]. لم تكن تلك نقطة النهاية لدى أئمة اليعاربة في طرد البرتغاليين، بل استماتوا مدافعين عن حياض أرض الإسلام؛ نتيجة شعورهم بالأمانة؛ دفاعا عن البقاع الإسلامية وعن المسلمين؛ ولذلك طهروا السواحل الهندية من دنس أولئك الغاصبين؛ فسجلوا تاريخا خالدا تجسد في انتصاراتهم ضد المستعمر البرتغالي؛ في أغلب المعارك، وما معركة «**ديو البحرية**»[3] إلا دليل على ذلك.

إن السلوك الحسن الذي قام به أئمة دولة اليعاربة كان منهجاً متبعاً، سلكه الأئمة السابقون من أمثال: الإمام الجلندى بن مسعود[4]، والإمام

---

(١) السالمي، عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة نور الدين السالمي، السيب، سلطنة عمان، د.ط، ٢٠٠٠، ج١، ص٤ - ١٦.

(٢) لاندن، روبرت جيران. عمان منذ١٨٥٦ مسيرا وصيرا، تر محمد أمين عبدالله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٥، ١٩٩٤م، ٣٥.

(٣) موقع غرب الهند، هزم فيه البرتغاليون شر هزيمة من قبل دولة اليعاربة. انظر الموسوعة العمانية مادة ديو البحرية، المجلد التاسع ص١٤٥١ - ١٤٥٢.

(٤) الأمام الجلندى بن مسعود ابن جيفر وهو أحد بني الجلندى بن المستكبر، بويع بالإمامة سنة ١٣٢ هـ، أيام دولة السفاح عندما بغوا، فأقام العدل، وقويت شوكته، وفي سنة ١٣٤ هـ استشهد الإمام - رحمه الله - على يد قائد العباسيين خازم بن=

الصلت بن مالك الخروصي[1]، فقد كانوا حامين لوطنهم، وملبين لصرخة المستنجد، وما نجدة أهل سقطرى إلا دليل على ذلك. وقد تابع أئمة اليعاربة ذلك السلوك الحميد، فاستجابوا لنداء الصرخة الأفريقية، عندما طلب أهالي أفريقيا الشرقية النجدة في تحريرهم من وطأة الاستعمار البرتغالي، فأرسلوا أساطيلهم المظفرة إلى تلك السواحل، محققين انتصارات باهرة على الخصم البرتغالي المستعمر الغاشم، وبذلك تمكن العمانيون بقيادة أئمة اليعاربة من انتزاع كلا من: ممباسا[2]، وكلوه[3]، والجزيرة الخضراء «وبيمبا»[4]، وبته[5] (بات)، وزنجبار[6] منهم.

=خزيمة بموقعة جلفار، السالمي، نور الدين. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج1، ط المطابع الذهبية عمان مسقط ١٩٩٣، ص٨٨ ـ ٩٧.

(١) الإمام الصلت بن مالك الخروصي وهو من اليحمد، بويع بالإمامة يوم الجمعة قبل غروب الشمس في ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ، وقد سار سيرة حسنة، وأنجد أهل سقطرى وخلصها من النصارى بجيوشه، وفي آخر أيامه خرجت عليه خارجة من الناس فعزل من منصبه، رضي الله عنه. المرجع السابق ج1، ص١٦٢ ـ ١٦٥.

(٢) مدينة في شرق أفريقيا حررها الإمام سلطان بن سيف، وظلت تابعة لدولة عمان حتى نهاية الوجود العماني في الشرق الأفريقي. المغيري، سعيد بن علي. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق الصليبي، ط٤ ٢٠٠١، ص١٦٢ ـ ١٦٤.

(٣) واحدة من المواضع التي حررها اليعاربة في شرق أفريقيا، وبقيت في ظل الحكم العماني مثل ممباسا. انظر: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٤) مدينة في الساحل الأفريقي الشرقي حررت من المستعمر البرتغالي على يد اليعاربة. المرجع السابق، ١٩٧.

(٥) تقع في الشرق الأفريقي.

(٦) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص٩٧. ـ ابن رزيق. الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تح عبدالمنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط،=

هذا المجهود الحربي والانتصار العسكري كون لليعاربة دولة مترامية الأطراف، شملت مناطق واسعة من الخليج العربي وصلت حدودها إلى البحرين وبلاد فارس وسواحل الهند، وامتداد واسع على طول السواحل الشرقية لأفريقيا[1]، وأصبحت دولة اليعاربة سيدة الموقف في مياه المحيط الهندي بأسطولها الضخم المجهز بالسفن القوية والمدافع الضخمة[2]. هذه القوة الضاربة لدولة أئمة اليعاربة، جعلت من الدول الأوروبية الاستعمارية تحسب لهذه الدولة مكانتها في العالم؛ ولذلك سعت لخطب ودّها من خلال عقد المعاهدات والاتفاقيات الاقتصادية[3].

تلك الصور الخالدة لهذه الدولة ـ دولة اليعاربة ـ رصدها شعراء عمان، فكانت حرية بالدراسة؛ لكونها سجلت في أبعادها ملامح متعددة: منها ما تعلق بوصف الحرب والمحارب، وأخرى رصدت البعد التاريخي للمعركة. إذ الربط بين البعد التاريخي والبعد النصي متجسد في فضاء النص «ولا بد من فهمهما على أساس أن الغرض التاريخي فعل كامن في النص، وأن الغرض النظري لا يعدو أن يكون

=١٩٧٨، ص٢٨١. وانظر: البوسعيدي. سالم بن سعيد، الرائع في التاريخ العماني، مكتبة الأنفال، مسقط، سلطنة عمان، دون الطبعة وسنة النشر، ج٢، ص٣٨ و٥٨، ٥٩.

(١) تحفة الأعيان، ج٢، ص١٠٧ و١١٨.

(٢) مايلز.س.ب. الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٣، ١٩٨٦، ص٢١٣ ـ ٢١٤. وزارة الإعلام. عمان وتاريخها البحري، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، .ط، ١٩٧٩م، ص٧١.

(٣) الرائع في التاريخ، ج٢، ص٣٦ ـ ٣٧.

ردَ فعل بإزائه، سرعان ما يصبح فعلا جديدا يستوعبه الباث فتتضمنه الرسالة التي من الممكن أن يستحدثها»[1]، إذ قيمة الشعر تبرز في كونه وثيقة من الوثائق المرتبطة بالعصور، في جوانبها التاريخية واللغوية والحضارية[2].

إن هذا النوع من الشعر يستحق الاهتمام؛ لكونه يمس التاريخ والاجتماع والنفس والثقافة والهُوية، فهو في النهاية تجربة إنسانية، جاء نتيجة معاناة وتفاعل مع الحدث؛ خاصة كونه يتعلق بمصير عزة الوطن والمواطن.

وعليه جاء اختياري لقصائد مثّلت لغة الشعر الحربية عند شعراء الفترة، أمثال: الفزاري، والحبسي، والمعولي والصارمي والغافري والغشري[3]، متخذاً من شعرهم نماذج دالة على القضايا التي تناولها هذا البحث الذي جاء: بمهاد حاول تحديد مصطلح مفردة الحرب، وفصلين، وخاتمة، قرأ الفصل الأول، الصورة الحربية وبعدها الدلالي عند شعراء اليعاربة، بينما قرأ الفصل الثاني، البعد النفسي ودلالته في شعر الحرب، معتمداً في دراستي على المناهج النقدية، الوصفية التحليلية في قراءة البعد التصوري لشعر الحرب.

---

(١) بلمليح، أدريس. المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام ـ منشورات كلية الآداب والعلون الإنسانية الرباط المغرب ـ ط ١ ـ ت ـ ١٩٩٥ ـ ص٤١١.

(٢) الطريسي، أحمد. النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية، ط١، الرباط ٢٠٠٠، ص١٣ ـ ١٤.

(٣) الملحق رقم ١، تراجم الشعراء الذين مثلوا شعر هذه الفترة.

الفصل الأول:

الصورة الحربية
وبعدها الدلالي عند شعراء اليعاربة

لقد جسد شعراء هذه الفترة صورة الحرب من خلال ما رسموه في منظوماتهم الشعرية، من جراء تفاعلهم مع الحدث، مشاركة أو مشاهدة أو سماعا، وذلك بارز في الصور التي جاءت بها رؤيتهم الشعرية. وسنحاول إبراز لغة العلاقة بين البناء اللغوي والدلالة المعجمية، ضمن نماذج تجلي لنا تلك الحيثيات وفق سياقها النصي.

المبحث الأول:

صورة المحارب وسماته الحسية والمعنوية ببعدها الدال في فضاء النص

إذ المعالجة تبرز من خلال النماذج التي تتعانق وما يتعلق بها من مرجعيات دالة؛ لكون صورة المجاهد رُسمت بدلالات تتباين أبعادها بين شاعر وآخر، وعليه يحاول هذا المبحث إيجاد لغة تقاربية بين الأبعاد المعجمية التي ساقها شعراء العصر في هذا السياق.

أولاً: صورة القادة:

لغة البناء العمودي للنص الشعري عند شعراء اليعاربة تحاكي البناء العمودي الأول، فالقصيدة الواحدة تحمل لغات معجمية متعددة، مما تجعل القارئ يعيش بين مدلولات مختلفة في ظاهرها؛ رغم انسجامها إيحائيا، ولمنهجية البحث الذي يحاول رسم صورة المحارب عند شعراء اليعاربة ما بين قائد وجندي، يجعلنا نستل من النص ما يتناسب والدلالة المطروحة، مع الإشارة لكلية النص؛ لكونه يمثل رؤية عامة لمرجعية الصورة. وقفتنا الأولى ستكون عند صورة شعرية، خُلدت فيها مآثر قائد يعربي وصفاته، ذلكم هو الإمام سلطان بن سيف

اليعربي[1]، الذي كان له قصب السبق في إجلاء البرتغاليين من عمان بمعناها الكبير الواسع - أقصد بذلك الموقع الاستراتيجي والامتداد الجغرافي الذي وصل تخوم دولة عمان يومها إلى البحرين وبلاد فارس والشرق الأفريقي - نظراً للقوة الضاربة التي كانت تتمع بها الدولة اليعربية آنذاك بقيادة الإمام سلطان بن سيف اليعربي، هذا الإمام الذي سيطرت عليه روح العزة، وحب بناء الأوطان، بكل ما تحمله هذه المفردة من أبعاد دلالية، فبعد توليه مقاليد الإمامة في عمان، لم يمكث سوى أيام عدة، حتى بادر لمواجهة البرتغاليين، وكان في مقدمة الجيش عند قتال الأعداء. تلك خطة رسمها منذ أول يوم شرف بالتكليف؛ وفاء لوطنه الذي شرط عليه ذلك الواجب، وبذلك حقق الأمنية، فأصبحت مدينة مسقط في يده، وولى البرتغاليون منهزمين. لقد واصل الإمام مسيرة الجهاد ضد المستعمرين، وقام بمطاردتهم وملاحقتهم في السواحل الهندية والأفريقية، حتى وصل موزمبيق[2].

هذه الأحداث العظيمة لم تكن بعيدة عن الشعراء والأدباء، وعليه سارعت القصيدة العمودية في رصد مناقب هذا الإمام، اعتزازا به، وتمجيدا لانتصارته، ضد جيوش الطغاة، ومستعمري بلاد الإسلام.

---

(١) الإمام سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب اليعربي، بويع بالإمامة في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر بن مرشد، وهو يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٠٥٠ هـ. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ٢، ص٤٥.

(٢) الرواحي، سالم بن محمد. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة من سنة ١٠٣٤ - ١١٣٣ هـ، ط١، ٢٠٠٣، ص١٢٦ - ١٣٣.

أ - الأنموذج الأول: لخلف بن سنان:

في قصيدة[1] تربو على المائة بيت: مطلعها[2]:

جـاد جـودا غـضـى الـغـويـر الـغـمـا

م وهـمـى فـيـه هـامـل ورهـام

هذا النص استهل بمقدمة طللية طويلة، استغرقت ثلاثين بيتا، واقفة على الأطلال، وباكية على آثارها؛ إذ الوقوف على الأطلال قاعدة سلكها الأقدمون، وسار على منهجها شعراء اليعاربة، ومنهم الغافري الذي جسد في مقدمته لوحة رائعة، مهدت لموضوعه من خلال الوقوف على المرابع والأطلال، إذ «الوقوف على الطلل متتالية حدثية ذات وظيفة دالّة على نهاية حدث وبداية حدث آخر»[3]. كما أن ذلك التوقف عند الديار المندثرة له دلالة بعيدة ترتبط ارتباطا دلاليا بسياقية النص.

إن النص بتكويناته المعجمية الدالة، يمثل لوحة واحدة، وفق خطاب محدد، ترجمته المتتاليات الفكرية الممتدة عبر أجزاء النص، وهذا ما برز جليا في ثنايا النص، إذ أبعاد المقدمة حملت دلالاتها صورا علتها الدهشة والانبساط «**جاد جودا غضى الغوير الغمام، وهمى فيه هامل ورهام، واعترى مربعا بأكناف وبل، من حيا المزن**

---

(١) البطاشي، سيف بن حمود. إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان، ط - ١ - ت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م - ص٦٨ - ٧٣.

(٢) إيقاظ الوسنان، ص٦٨. ولمعرفة بعد الصورة، انظر الملحق رقم ٥.

(٣) المختارات الشعرية مرجع سابق ص٣٩٢.

وابل وسجام، ولدى رامة سقى رسم ربع تصرع الأسد عنده الآرام، وتغنت أطياره نغمات هام منها المتيم المستهام» تلك المفردات جاءت مضامينها موحية بلغة الفرح الذي طالما حلم به المجتمع، فتحقق الاستقرار في كل الأنحاء؛ مما جعل الإشراق يعم كل مكان، كما أن هذه الدلالات في بعدها النصي أوحت بقراءة جديدة، كانت أكثر عمقا ودلالة من القراءة الأولى؛ لكونها خلقت بعدا تصوريا تجسد من خلال انزياح المقدمة، والتي:

= صور الأربع والديار + الطلل وساكينه من الأحبة = التغير الجديد الذي طرأ على المجتمع، من أمن واستقرار، وطمأنينة. كل ذلك جاء نتيجة الانتصار، وما مني به العدو من هزيمة.

من هنا تبرز القراءة المرجعية لمتتاليات النص، فالشعر المبدع ما خرج بلغته عن مستواها الطبيعي إلى اللاطبيعي، كما يقول النقاد، إذ «النص الشعري ليس أفكارا ترد بشكل منفصل عبر أبيات ومقاطع شعرية، وإنما هو رؤيا، تتلاحم في نسيجها الأشياء، وتتعقد في عملية بنائها العلاقات التي تربط بين الظواهر والأحداث، ولذلك فإن النظر إلى النص الشعري لا ينبغي أن يتم بشكل منفصل وإنما بشكل متصل»[1]. هذا المعنى يقودنا لقراءة الصورة في تكاملها وضمنيتها، فالشاعر بعد أن قدم بتلك المقدمة الطويلة، انتقل ليبرز لنا صورا من صفات هذا القائد بلغة سردية[2]:

---

(١) النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية، ص٢٨.

(٢) إيقاظ الوسنان، ص٦٩ - ٧١.

إن ثنى اليعربي عن عرب العليا
ملام ثنائي اللوام
ذاك سيف الإله سلطان سيف
ذو بعلياه أعلى الإسلام
كرم كله وعلم وحلم
وعفاف يقوده إقدام
حسم العدم والأعادي عنا
نائل غامر له وحسام
وحمانا حماية حام منها الصقر
عن حيث ما تحوم الحمام
وسما فوق ذي الأنام بخلق
شاب طعم الشهاد منه سمام
قل لشاني الأمام شأنك خلف
من طلاب طلبته وأمام
رم لما شئت، لن تنال مرادا
فحبال المرام منك رمام
إن لله في معاليه سرا
قصرت دون فهمه الأفهام
رجمت بالظنون أعداؤه في
نيل علياه فاحتوتها الرجام
ملك غرة الملوك حباه
عزة الملك مالك علام

قلمت مخلب الأقاليم منه
مرهفات السيوف والأقلام

بطل أبطل الإله به الباطل
إذ أحكمت به الأحكام

أرغم الذل أنف شانئه النذ
ل وعفى ديباجتيه الرغام

كتمت فضله العداة وهل للصـ
ـح في صحوها يصح انكتام

لم يشنه ذام سوى أنه في
كل عهد لديه توفى الذمام

لو بحلم الأمام حلم ابن قيس
قيس أضحى كأنه أحلام

نظر البارئ الرحيم إماما
عقمت عن نظيره الأرحام

أنت قرم إلى لحوم الأعادي
قرم لاتهوا له الأقدام

وجواد يغني الأنام نداه
مستمدا عما يجود الغمام

وعفيف مبرأ العرض برّ
لم يدنس ثيابه الآثام

وعليم قد أحكم الحكم وانحال
إليه الإحلال والأحرام

وفصيح كأنما أقبس القاموس

قاموس صدره النظام

حرم الله منك وجها عن المكـ

ـروه منه الأيام شهر حرام

كم لدين الإله عودا تجلت

بك عن وجه زهره الآكام

قد قدَ الأعداء عضبك لما

قدمتهم لحربك الأقدام

كلما كلمت كلي ديننا أو

آلمتها من العدى الآلام

مرهمتها بمرهم البرء بترٌ

لك من ضوئها يضئ الظلام

عم حياة ياأروعا من عقابيـ

ـل سطاه من المعادين عام

قل لمن ظن أن ذا العرش لن ينـ

ـصره وهو ناصر علام

مدّ حبلا الي السماء ثمت اقطع

وأرن هل غاض ما يغيض المرام

أو ما عاينت أفاعليه عيـ

ـناك أم عاث فيهما الإظلام

أفما في ديار عبد غدا مسـ

ـتعبداً من معبوده الأصنام

وبسامي الفؤاد قادهم كر

ها كما قيد للذباح السوام

فأتوه بهم أفاكل رعب

مثلما ريع بالهزبر البهام

إن شخصيات القيادة تختلف في تكوينها، وتتباين في سلوكها ومكوناتها؛ نظراً لأساس تكوينها ومحيطها المكاني والزماني، لذلك نجد ـ غالباً ـ تمجيدا للحكام والأمراء من قبل شعراء عصرها؛ نظراً لما ينالوه من سخاء وعطاء نظير ذلك، إلا أن هذه النظرية ليست مطردة، فشخصية ـ الإمام سلطان ـ مرموقة، كونتها سلوكيات إيمانية، وربّتها روح التضحية؛ مما أثنى عليها العَالِم قبل الجاهل، وخلدتها تضحياتها وإخلاصها لوطنها، فحريّ بها أن تنال إعجاب الشعراء، لا لمقابل العطاء، بل مقابل ما قدمته من تفاني في سبيل عزة الإسلام. هذا ما قرأه النص السابق في مكونات شخصية الإمام سلطان بن سيف اليعربي.

إن المتتاليات النصية التي جاءت تالية للمقدمة، حاولت أن ترسم لنا صورا من شخصية الممدوح بأسلوب جميل:

ـ «ذاك سيف الإله سلطان سيف

ذو بعلياه أعلى الإسلام»

ـ «كرم كله، وعلم، وحلم،

وعفاف يقوده إقدام»

فالسيف في معناه الحرفي = الآلة الحادة، إلا أن الشاعر أعطاه

دلالته المرجعية التي جاءت نتيجة ما قام به السيف من قتال وهزيمة للعدو حتى تحقق الانتصار والذي = علو الإسلام، وبذلك أثمرت المفردة بسياقها وحققت اللغة الدالة.

المفردات «كرم ـ علم ـ حلم عفاف ـ إقدام» جاءت وفق معناها المتداول، فدلالتها لم تتعد القراءة الأولى، ولا تحتاج إلى تأويل، إذ الصفات التي جسدها في ممدوحه وصلت إلى المتلقي بسهوله.

ـ «حسم العدم والأعادي عنا»

«فحسم» في دلالتها القاموسية = أنهى الشيء وقضى عليه، لكنها عندما ارتبطت تركيبياً بـ«العدم، والأعادي» تغير معناها فتحولت إلى لغة استعارية انزاحت إلى معنى جديد أراده الباث من إضفاء صفة الأمن والأمان والغنى إلى المجتمع من واقع التضحية التي تجسدت في ذاتية القائد الذي وصل بالمجتمع لتلك التطورات؛ مما استحق من خلالها هذا الإطراء.

ـ «وحمانا حماية حام منها الصقر عن حيث ما تحوم الحمام».

فالبعد النفسي جسده ضمير المتكلمين في «حمانا» إذ جاءت لغة الخطاب مسندة للمجتمع، مؤكدة بالمصدر المؤكد لفعله «حماية» والعبارة السابقة خرجت عن قراءتها الحرفية إلى قراءة تصورية، فالصورة التي جسدتها العبارة توحي بالحماية القوية من كل مفترس، وهو ما رمز إليه «بالصقر». ففعل القراءة التأويلة هو ما أوصلنا لدلالة النص المقصودة، والتي = الإمام كان حاميا أمينا لمجتمعه من كل

أذى، بل وحافظا لهم ما يتوقع أن يأذيهم في المستقبل، تلك هي الأمانة التي يجب أن يقوم بها الراعي لرعيته.

ما رصده الباث للمتلقين من صفات عالية للإمام وما يقوم به لرعاياه، هو ما جاء نتيجة للسمو العالي الذي وصل إليه، نتيجة لإقدامه وتفانيه، وهو ما عبر عنه بلغة خرجت عن مألوف المدح السائد بلغتها الحرفية:

وسمـا فـوق ذي الأنـام بـخـلـق،

شاب طـعـم الـشـهـاد مـنـه سـمـام

إن لله فـي مـعـالـيـه سـرا

قـصـرت دون فـهـمـه الأفـهـام

ذلك السمو وعلو الرفعة، جاءا بتواضعه وخلقه الكريم، فمعالي الصفات التي تميز بها، هبة ربانية قصر إدراكنا عن استيعابها، وكأن اللغة الدلالية حمّلها معاني أخرى لا يمكن الوصول إليهاعبر القراءة السطحية، وعليه يتطلب منا لمرجعية النص حتى نتبين تلك الأبعاد التي ارتقى إليها ذلك الإمام الفذ، هذه الصفات يترجمها لسان النص بسياقيته الفكرية المتتابعة والتي تتجلي في:

قـلـمـت مـخـلـب الأقـالـيـم مـنـه

مـرهـفـات الـسـيـوف والأقـلام

فـ«قلمت» بمعناه الحرفي اللغوي = قصَصت، نظفت، إلا أن السياق يحمل لغة أخرى، فالرجوع لتأويل المفردة من خلال مستوى النظم تعطي بعدا آخر؛ خاصة عندما ارتبطت في بناءها التركيبي مع

«مخلب» التي وقعت مفعولا به، للفاعل المؤخر مرهفات المضافة للسيوف والأقلام، «**فمخلب الأقاليم**» وهي الصفة المذمومة خرجت من مستواها المباشر إلى مستوى أبعد وأقوى تأثيرا في أذن المتلقي، كما أن الآلة المستعملة في حرب العدو«السيف» إلا أن الشاعر عطف عليها الأقلام، التي جاءت بصيغة الجمع لكثرة الفعل في العدو، فالأقلام بلغتها السطحية تستعمل للكتابة والتدوين، إلا أن مجيئها معطوفة على السيف أكسبها دلالة السيف وقوته، فالقَلم يستخدم في الأمر والنهي، والأمر بالقتل وغيره من خلال بعده الكتابي ولغة استخدمه.

إذا كانت المفردات المعجمية السابقة استرسلت في إبراز لغة ما يتمتع به الإمام من قوة وشجاعة وبأس، فهذه الإمكانات لم تكن من أجل القوة فحسب، بل جاءت لتدفع الباطل إلى أرض سحيقة، لا يمكن العودة إليه.

بـطـل أبـطـل الإلـه بـه الـبـاطـل

إذ أحـكـمـت بـه الاحـكـام

لغة النص بتشكلاتها الصوتية التي تتغير ضمائرها بين لغة الغيبة «بطلٌ» والخطاب المباشر «أنت قرم إلى لحوم الأعادي» تشكل بعدا إيقاعيا قويا، فالصيغة الغائبة تطلبها السياق، وبالمثل لغة المباشرة فرضها النص، فـ«**أنت قرم إلى لحوم الأعادي**» مفردات حملت لغة القوة من جانبين: استخدام ضمير المخاطب، والبعد التصويري لمفردة «قرم» فالقرم تعني بحرفها اللغوي، القضم، والقضم ببعدها

القرائي تعني قمة الغيظ، وازدادت قوتها عندما عاد إليها متعلق الجار والمجرور «إلى لحوم الأعادي». فكل ما جاء به الباث من مفردات خرجت عن لغتها المألوفة، قصد بها إبراز لغة القوة التي كان يتمتع بها ذلك القائد الإمام.

إن بنية القصيدة العمودية ـ التراثية ـ تتسم باستقلالية البيت واجترار معجميته، وهذا ما برز في هذا النص، إلا أن سياق المفردات المعجمية المجترة في ظاهرها جاءت بلغة جديدة أكسبت النص قوة أخرى، فالجود الموصوف به ليس مخصوصا لفئة مجتمعية معينة، بل لجميع الأنام، وهنا تفرد الموصوف والواصف بلغة انزاحت عن اللغة المعتادة:

«وجـــواد يـــغـــنـــي الأنـــام نـــداه

مـــســـتـــمـــدا عـــمـــا يـــجـــود الـــغـــمـــام»

ومثله صفة العفاف المعنوية التي جلته عن أي دنس:

«**وعفيف مبرأ العرض برّ، لم يدنس ثيابه الآثام**» ثم تأتي المتتالية الأخرى فتصفه بصفة غير مفتعلة، وهي علم الإمام بالحلال والحرام، «**وعليم قد أحكم الحكم وانحال إليه الإحلال والإحرام**» .ومن صفات الإمام، القدرة على مخاطبة الآخرين بلغة تفحم المعادين:

«وفـصـيـح كـأنـمـا أقـبـس الـقـامـوس

قـــامـــوس صـــدره الـــنـــظـــام»

وفي سياق آخر اتسمت شعرية النص بلغة الدعاء، إذ النص أحالنا

إلى التناص مع اللغة الدينية، وذلك انعكاس لثقافة الباث الذي يتمتع ببعد علمي في مجال الثقافة الدينية.

السياق النصي التالي تواصلت لغته الدلالية من خلال المرتكزات الإيحائية المكتنزة في النص، على الرغم من انقطاعه مفهوميا:

«حرم الله منك وجها عن المكروه منه الأيام شهر حرام، كم لدين الإلاه عودا تجلت بك عن وجه زهره اللآكام».

تنوعت لغة الخطاب عند الشاعر بين الخبرية والإنشائية، فبعد أن تتابعت متاليات الخطاب في خبريتها ـ التي حدثت عن تكوين لتلك الشخصية الفذة التي تربت على لغة الإيمان والتقوى ـ نجده ينتقل من اللغة الخبرية إلى الإنشائية:

«عم حياة يا أروعا من عقابيل سطاه من المعادين عام» فلغة الدعاء توحي بأريحية الباث الذي يدعو الإمام إلى حياة أسعد. ذلك الأسلوب الإنشائي تابعه بلغة مضادة، مصدرة بفعل الأمر الطلبي بلغة التجريد:

«قل لمن ظن أن ذا العرش لن ينصره وهو ناصر علام».

«مدَ حبلا إلى السماء ثمت أقطع، وأرن هل غاض مايغيض المرام».

فالشاعر جرد فعلا، يخاطب فيه من أساء الظن في تلك المميزات التي تفرد بها ممدوحه، مضمخا مفرداته بلغة القرآن الكريم «مد حبلا.....الخ». ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا

يَغِيظُ﴾[1]. فالصيغة خرجت في تأويلها إلى لغة الإنذار والوعيد والتقريع، مستخدماً أسلوباً مدعماً بالنص القرآني.

لم يكتف الباث بما قدمه من لغة تقريعية فحسب، بل واصل بلغة استنكارية مستخدماً أسلوب القصر والحصر، بلغة مازجت بين الغيبة والخطاب في السياق:

أو ما عاينت أفاعيله = الغائب + الممدوح.

عيناك = المخاطب المذموم.

فالتقابل بنفسه كون صورة متوازية بالتخالف. كما أن الارتداد الصوتي المنبعث من «أم عاث فيهما الإظلام» ساند ذلك التقريع الذي سيطرت عليه اللغة الإنفعالية. ويسترسل الباث ليؤكد القدرات الكامنة في ذاتية القائد، وما ينتج عنه من نتائج وخيمة في حق العدو، وكأنه يقول للعدو: وإن غدا لناظره قريب من خلال هذه الدلالة:

«أفما في ديار عبد غدا مستعبدا

من معبوده الأصنام»

«وبسامي الفؤاد قادهم

كسرها كما قيد للذباح السوام»

هذه الدلالات لم تكن اعتباطية، فالدلالة توحي بحرب نفسية في ذاتية العدو من خلال إبراز هذه الصفات، والمبالغة في وصفها؛ لتكون حربا متقدمة قبل اللقاء، وهذا ما صنعته تلك المفردات من

---

(١) سورة الحج، آية ١٥.

أوصاف، لم تكن لذاتها، بل تعدت الذات الموصوفة إلى الخصم، وبذلك أعطت مدلولات جديدة تعدت اللغة الطبيعية التي يظنها القارئ في قراءته الأولية.

ب ـ الأنموذج الثاني: للمعولي[1][2]:

هنئت بالنصر موعودا لك الظفر
وما تحاوله يمضي به القدر
يممت نحو العدى غرا غطارفة
شم الأنوف شدادا زانها الغرر
وفيهم سادة من يعرب سطعت
وجوههم كبدور التَّم تزدهر
تخالهم في ظهور الخيل أسد شرى
تجري بهم في الوغى والحرب تستعر
ترمي بأنفسها والأسد حائرة
في مأزق الحرب والأرماح تشتجر

---

(١) المعولي، محمد بن عبدالله بن سالم. ديوان المعولي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ١٩٨٤، ص١٧٧ ـ ١٨٢. انظر الملحق رقم ٨.

(٢) الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، بويع بالإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه، وهو يوم الجمعة ١٦ من ذي القعدة ١٠٩١ هـ، كما أن للإمام بلعرب دورا بارزا في إحياء الحركة العلمية، حيث أسس مدرسة علمية في حصن جبرين، وكان لها صيت واسع في أنحاء عمان. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج٢ ص٧٦، ٨٥.

بوركت من ملك عدل ومن حكم
لا زلت دهرا على الأملاك تفتخر
أنت الغني عن الأملاك كلهم
وكل حي إليك الدهر يفتقر
فما يساويك من في باعه سعة
أنى يساويك من في باعه قصر
فقت البرية في عدل وفي خلق
وكل خلق سواك اليوم محتقر
مالي أرى عصبة تاهوا وعندهم
سواك كل عظيم ماله قدر
ويورد الرمح في لباتهم سلما
وليس يصدر إلاّ وهو منكسر
فالحرب ساطعة والبيض لامعة
كأنها بالصقال الأنجم الزهر
الله أكبر إن العدل مشتهر
والجور منطمس والحق منتصر
ونار أهل الخنا والجور خامدة
ونور أهل الهدى والدين مزدهر
ودولة العدل لازالت مظفرة
ودولة الجهل معدوم بها الظفر
بَطَلِيةُ اليعربي الندب سيدنا
ذاك الإمام الهمام الصارم الذكر

مهذب الرأي محمود الخلائق مأ

مون البرائق صاف مابه كدر

إن صال يوما على الأعداء في رهج

بصارم الحد لا يبقي ولا يذر

لقد كنا مع نص ذُكرت فيه مناقب وسمات إمام ضحى لوطنه، ونعيش الآن مع نبرة شعرية أخرى، لشاعر آخر، وموصوف آخر، فالباث في طرحه يبرز سمات ومناقب الإمام بلعرب، الذي كان خلفا لوالده في استمرارية الجهاد ضد المستعمر، وتوطيد أركان الوطن، حيث كانت عمان في أيامه دولة واسعة الأرجاء، إذ امتدت حدودها إلى الصير والبحرين[1]. كل هذه الأعمال مجدته في قومه، فجعلت من الشعراء يتسابقون في الإطراء به وتخليد أعماله التي بقيت رمزا حافلا بالعزة والسؤدد.

هذا النص جاءت افتتاحيته ولم تتعد البيت الواحد، وقد انصهرت مع موضوعية النص، إذ خلقت نوعا من التفاعل بين المقدمة والغرض الذي أراد تحقيقه من هذه القصيدة، وبذلك التفاعل تولّدت قوة اللغة الشعرية في النص، إذ غاية النص إبراز النصر ومن قام به بلغة مدحية زادت القائد ثباتا، وأعطت أتباعه الثقة والاستمرارية:

هنئت بالنصر موعودا لك الظفر

وما تحاوله يمضى به القدر

---

(١) تحفة الأعيان ج٢، ص٧٦.

إلا أن هذا الأسلوب لم يكن حاضرا في النص السابق، الذي استهله الشاعر بقوله[1]:

جاد جودا غضى الغوير الغمام
وهمى فيه هامل ورهام

حيث سلك مسلك القصيدة الجاهلية في سياق المقدمة والانتقال منها لموضوعه.

إلا أن هذا النص الذي بين أيدينا[2]، استهله الشاعر بلغة المخاطب «**هنئت، يممت**» وكأن لغة الحضور للشاعر ماثلة بين يدي الإمام، وقد وقفت لتوجه التحية للقائد بمناسبة ما حققه من تفوق على الخصم، وانتصار على الباطل، وتحقيق لمبدأ الحفاظ على أرض الدين والوطن، مستتبعا ذلك بقوله:

يممت نحو العدى غرا غطارفة
شم الأنوف شدادا زانها الغرر
وفيهم سادة من يعرب سطعت
وجوههم كبدور التَم تزدهر
تخالهم في ظهور الخيل أسد شرى
تجري بهم في الوغى والحرب تستعر
ترمي بأنفسها والأسد حائرة
في مأزق الحرب والأرماح تشتجر

(١) إيقاظ الوسنان. ص٦٨ ـ ٦٩.
(٢) المعولي، ص١٧٧.

فالصورة المرتسمة في ذاكرة الباث أوحت بالتجربة العسكرية التي خاضها القائد مع جنده الذين كانوا في أرقى مستويات التضحية، والانتماء للهدف السامي، وذلك متمثل في أبعاد الصورة التي رسمها للجند «**غطارفة، شم الأنوف**» لم تتوقف صورة الشاعر عند هذا الحد، بل استمرت بلغتها السردية التخييلية؛ راسمة ما يمتلكه القائد من قدرات تعبوية، وذلك متمثل في قوله:

تخالهم في ظهور الخيل أسد شرى

تجري بهم في الوغى والحرب تستعر

ترمي بأنفسها والأسد حائرة

في مأزق الحرب والأرماح تستجر

إذ التعبير في قوله «تخالهم» عائد للقوة البشرية المتجسدة في الجند، من خلال لغة الانزياح التي جاءت بها مفردات «**تجري بهم في الوغى والحرب تستعر**» هذه الصورة أسندتها مفردات البيت الذي يقول: «ترمي بأنفسها والأسد حائرة» فصورة الخيل ومن يقودها تدل ببعدها التصوري على شدة المعركة، وأن وطيس الحرب ملتهبة، ولا مقام للعدو أمام هذه القوة العملاقة.

إن مثل هذه المفردات يكون لها أثر بالغ على نفسية المتلقي، فالعدو تبعث في ذاته الخوف والتراجع، والهزيمة النفسية؛ مما تجعله يتراجع، ويتحاشى لقاء مثل هذه الجحافل الجرارة، كما أنها تحمل لغة مضادة للمقاتل في صف الإمام فتقوي عزيمته، وتدفع فيه روح الأمل والاستمرارية.

فالشاعر المبدع، استطاع تجسيد المعنويات وتحويلها إلى صورة حركية ماثلة، وهذا ما جسدته تلك المفردات الصوتية بإيقاعياتها الدلالية.

بعد هذا الاعتراض الدلالي المقصود، يعود بنا الشاعر لما بدأ به نصه المدحي في سرد صفات القائد:

بوركت من ملك عدل ومن حكم
لا زلت دهرا على الأملاك تفتخر
أنت الغني عن الأملاك كلهم
وكل حي إليك الدهر يفتقر
فما يساويك من في باعه سعة
أنى يساويك من في باعه قصر
فقت البرية في عدل وفي خلق
وكل خلق سواك اليوم محتقر

توالت المفرادت المدحية، بأسلوب سهل بارز، حيث المتلقي لا يحتاج إلى لغة تأولية لدلالات السياق، فهي تحدد ملامح القائد المتميز، إلا أن بعض المفردات تعطي معنى أبعد لا يفهم في السياق المباشر، وذلك كقوله: «**أنت الغني عن الأملاك كلهم، وكل حي إليك الدهر يفتقر**» فدلالة السياق أعطت الممدوح صفات غلبت عليها لغة المبالغة، إلا أن المعنى اتسع ليعطينا بعدا آخر «**وكل حي إليك الدهر يفتقر**» إذ لغة التشبيه حركت المعنى وخرجت به من الدلالة اليومية إلى شمولية واسعة، وفي نفس الوقت جسدت المقابلة بين

الشطرين المعنى بلغة التضاد، فأنت غير محتاج لأحد من البشر، بل هم يفتقرون إليك. ثم لغة النفي **«فما يساويك من في باعه سعة....»** وتأكيدها بنفي أقوى **«أنّى يساويك من في باعه قصر»** فالشاعر باستخدامه أسلوب المقابلة أحدث حركة في الصورة، وجسدت بعدا تصوريا راقيا في وصف الممدوح. هذه الصفات ساقتها دلالات لا شعورية اكتنزتها نفسية الشاعر التي تتغنى من داخلها بالنصر والاعتزاز، فأصل السياق أن يتتابع في وصف المعركة ودور القائد فيها، إلا أن الشاعر المعجب بهذه الشخصية انزاح عن الاستمرارية بهذا الوصف المستغرق لشخصية القائد، كما أن هذا الاستغراق في ظني يمهد لسياقية أخرى، وهي:

مالي أرى عصبة تاهوا وعندهم
سواك كل عظيم ماله قدر
ويورد الرمح في لباتهم سلما
وليس يصدر إلا وهو منكسر
فالحرب ساطعة والبيض لامعة
كأنها بالصقال الأنجم الزهر
الله أكبر إن العدل مشتهر
والجور منطمس والحق منتصر
ونار أهل الخنا والجور خامدة
ونور أهل الهدى والدين مزدهر
ودولة العدل لازالت مظفرة
ودولة الجهل معدوم بها الظفر

فكأنه يريد أن يقول لأعداء الإمام، ما الذي سلك بكم مسلكا منحرفا وأنتم بين هذا الرجل المتصف بتلك الصفات، فكان ذلك الاستغراق في بث محامد الإمام أمرا مقصودا، تمهيدا لهذا الطرح.

ويعود بلغة الغائب بفعل دال على الاستمرار «**ويورد.....**» ذلك الفعل الزمني حرك مسار الصورة؛ خاصة عند ارتباطه بالرمح، واختراقه لباتهم، فالصورة جاءت مكثفة «**وليس يصدر إلا وهو منكسر**» صورة عمقت الرؤية من خلال ذلك التجسيد للمعنويات. ويتابع الشاعر بنبرته المتعالية قوله «**فالحرب ساطعة، والبيض لامعة**» فالتماثل الصوتي جسد بعدا دلاليا آخر أنتجه البعد الإيقاعي المرتبط بنفسية الشاعر المتفاعلة مع الحدث، الذي تواصل عبر المتتاليات الأخرى:

الله أكبر إن: العدل مشتهر

والجور منطمس

والحق منتصر

ونار أهل الخنا والجور خامدة

ونور أهل الهدى والدين مزدهر

ودولة العدل لا زالت مظفرة

ودولة الجهل معدوم بها الظفر

هذا التقابل الصوتي أفقيا وعموديا، جاء نتيجة تفاعل نفسي داخلي، كان يختلج في ذاتية الشاعر، إذ الانتصار كان سببا في تفريغ

تلك الشحنات الإيجابية التي جاءت متفاعلة وذاتية الباث، كما أن المتلقي الإيجابي يشعر بنفس تلك الذاتية. هذه الدلالات، أحدثت شرخا قويا في نفسية المتلقي السلبي ـ العدو المهزوم ـ فازدادت هزيمته النفسية؛ مما جعل تلك الصور تخلق في ذاته تراجعا يجعله يحسب للقاء خصمه. فالشاعر باندماجه الشعوري، استطاع أن يساهم في النصر والهزيمة، من خلال قدراته التجسيدية لمفرادت النص، وجعلها ناطقة في ذاتية المتلقي المتفاعل.

بَطَلِية اليعربي الندب سيدنا

ذاك الإمام الهمام الصارم الذكر

مهذب الرأي محمود الخلائق مأ

مون البرائق صاف مابه كدر

إن صال يوما على الأعداء في رهج

بصارم الحد لا يبقي ولا يذر

فالصفات الموسوم بها الإمام = «**بَطَلِية اليعربي، ذاك الإمام الهمام، الصارم الذكر، مهذب الرأي، محمود الخلائق، مأمون البرائق، صاف مابه كدر، إن صال يوما على الأعداء لا يبقي ولا يذر**» هذه المفردات السياقية مثلت لوحة تصويرية رائعة، من جراء ذلك التتابع التصويري لصفات القائد الممزوجة فأفعاله الحميدة، وهي مؤسس قوي لمكانته بين أصحابه وقومه، ورسالة قوية للعدو، تزرع في نفوسهم الحذر وعدم الاجتراء. وبذلك استطاعت مفردات النص تحقيق البعد النفسي بانزياحها عن القراءة السحطية، إلى قراءة تأويلية

أعطت دلالاتها من خلال تبادل البنيات المكونة للنص، كالإيقاع وأثره على المعجم في تكوين الدلالة.

ثانياً: الجند وسماتهم الحسية والمعنوية:

انتصار القائد لا يمكن تحقيقه بدون إخلاص جنده له، فالجند هم من أسس الانتصار، وعليه سنتوقف عند نماذج من شعراء اليعاربة في هذا السياق:

أ ـ الأنموذج الأول: للشاعر خلف بن سنان[1]:

سما لك النصر والتأييد والظفر
ونال منك العداة الناب والظفر
وأقبلت نحوك البشرى بفتح هدى
لمثله قبل لما يهتدي البشر
فتح مبين أبان الله شهرته
فعامنا لحبور عمنا شهر
سرت به أنفس الإسلام وارتفعت
لها به فوق أطباق العلا سرر
ويح النصارى حماة الشرك من شرك
لم يحمهم منه أنصار لو انتصروا

(١) إيقاظ الوسنان، ص٨٠ ـ ٨٢. انظر الملحق رقم ٧.

كـانـوا نـجـوم ضـلال يـهـتـدي بـهـم
أتباعهم لمهاوي الهلك فانكدروا
أذل كـل عـزيـز مـن ثـغـورهـم
وهـشـمـت مـنـهـم الـهـامـات والـشغر
فـأنـزلـوا مـن أعـالـي كـل شـاهـقـة
لـهـم عـلـيـهـا شـهـيـق دمـعـه درر
وصـار تـعـبـيـر رؤيـا نـوم بـغـيـهـم
بـأن غـدوا وهـم بـيـن الـورى عـبـر
جاشت إليهم جيوش الدين مهطعة
جيش الخضم علاه الريح والمطر
فـغـادرتـهـم جـذاذا فـي مـسـاكـنـهـم
جـزاء مـا نـكـثـوا عـهـدا ومـا غـدروا
وأخـرجـوا مـن قـنـاطـيـر مـقـنـطـرة
ومـن قـصـور عـدا جـدرانـهـا الـقـصـر
فـاسـتـوسـقـوهـا وحـلـوهـا شـراة فـتـى
نـصـر بـن زهـران آسـاد الـشـرى الـزهـر
لـلـه درهـم مـن عـصـبـة خـرجـوا
كـأنـمـا الـنـاس أحـجـار وهـم درر
يـبـادرون إلـى الـهـيـجـاء كـأنـهـم
شـبـاب قـوم بـدت أقـدامـهـم بـدر
مـن كـل قِـرن تـكـل الـقـرن صـولـتـه
مـا قـارن الـعـزم مـنـه الـجـبـن والـخـور

من كل شار شرى الأخرى بعاجلة
معجل لبنيها الضير والضرر
إن الشراة هم سور لملتنا
بذالكم تشهد الآيات والسور
أكرم بهم قادة غلبا شعارهم
ضرب تبين به الهامات لا الشَعر
قبائل ليس للأعدا بهم قبل
إلا كما قرعت بالقرعة الحجر
تجري بهم في عباب البحر ماخرة
دسراء قد أحكمت ألواحها الدسر
تكاد أن تسبق القمري إذ عره
رام فطار كما جاب الدجى القمر
حتى اذا آنست أعلام أبنية
الإشراك واشترك التأنيس والحذر
ظلت تحدِّر آسادا حيادرة
لها الوشيج عرين الظبي والظفر
فأوهنوا كلكل الإشراك وانتصروا
من كل هدر لئيم دمه هدر
هذى التجارة لا مسك تجيء به
للدور دارين مهما عد متجر
ذوقوا بني الأصفر العاصين حرب فتى
ما إن خلا رجب منها ولا صفر

النص الشعري يعيش وطيس المعركة، فيسرد وقائعها بأسلوب جميل رائع، وسياق القصيدة جاء في فتوحات الإمام سلطان بن سيف اليعربي[1] التي تواصلت حتى بلغت أعماق الشرق الأفريقي. وقد حمل النص صورا جميلة معبرة، جاءت أوليتها بتهنئة الإمام بالفتح المبين، ثم تواصلت مسردة صورة المستعمر، وما حلَّ بهم من مصائب نتيجة فعلهم، ثم استمر النص في توالي المتواليات حول الرجال الذين كانوا عمدة المعركة وسبب النصر. وهنا نجد النص يصور الجند وفق صورتين رائعتين، خلقتا بعداً متضاداً لمكانية المعركة، إذ الأولى كانت في البر، والأخرى تحققت في البحر.

بعد لغة سردية عامة لصورة النص، نقف مع أبعاده الأسلوبية في بعده القرائي الذي ينقلنا في بعض صوره إلى صور ترجعنا لمرجعيات مساندة لمعرفة البعد الدلالي للنص. فنصية القصيدة جاءت مصدرة بلغة الخطاب «**سما لك النصر**» ذلك الاستهلال كان إشارة قوية للمفردات التالية لها «**وأقبلت نحوك البشرى بفتح هدى**» لم يكن ذلك الفتح سيطرة وقهرا، بل استرداد للمجد، وهزيمة للباطل «**لذلك ارتفعت ورقت قيم الإسلام سرت به أنفس الإسلام**»، ثم تابع السياق متحدثا عن الخصم الذي دُحر دابره، وأصبح عبرة للمعتبرين، «**ويح النصارى**» إذ أسلوب التبكيت صدّر به الوصف للنصارى الذين غدوا شيئاً آخر، وهنا بدت لغة الوصف تتعملق في صفات المجاهدين ـ

(١) الخصيبي، محمد بن راشد. شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ج١، ب ط، ١٩٨٤ ص٩٢.

الجند ـ فالشاعر قدم أفعالهم الحسنة، وما قاموا به من ذود عن حمى الإسلام، والآثار التي انعكست على عدوهم، وما صنعت بهم.

«**كانوا نجوم ضلال يهتدي بهم..... أتباعهم، أُذلّ كل عزيز من ثغورهم، وهُشّمت منهم الهامات والثغر، فأُنزلوا من أعالي كل شاهقة، وصار تعبير رؤيا نوم بغيهم بأن غذوا وهم بين الورى عبر، جاشت إليهم جيوش الدين، فغادرتهم جذاذا في مساكنهم، وأخرجوا من قناطير مقنطرة**».

تلك صور كونتها بنية تركيبة جاءت بعضها على صيغة المبني للمجهول، وبعضها على صيغة المبني للمعلوم، إلا أن صيغة المبني للمجهول كان وقعها الدلالي أقوى وأعمق، حتى أن بعدها النفسي له أثر كبير على العدو، مثل «**أُذلّ، وهُشّمت، فأُنزلوا، وأخرجوا من قناطير مقنطرة**» هذه الصور أصبحت متجسدة في نفوسهم، ونفوس أعوانهم، حتى لا تحدثهم ضمائرهم مستقبلا للتعدى على الآخرين.

بعد السياق السابق الذي غلب عليه حذف الفاعل، عاد ليرصد متتاليات فكرية، تؤكد بأن الفاعل حاضر، وقد رصد أفعاله في خصمه بكل قوة وشجاعة، إرهابا لهم، وتحذيرا لكيانهم.

إن البعد النفسي ماثل في النص بكل قوة، وذلك متمثل في لغة المقارنة لحياة العدو قبل الحرب وبعده، فقد كانوا هم أصحاب السيادة والريادة، وأصحاب القصور والرفاهية، إلى أن تحولوا صورة عكسية بعد الهزيمة. تلك المقارنة كانت رسالة نفسية لمن تحدثه نفسه بمثل هذه الأفاعيل.

لم يتوقف النص عند إعلان نتيجة المعركة، ووصف خصمهم فيها، بل تواصل النص بلغة سردية، لإبراز صفات أولئك الرجال الذين تمكنوا من دحر عدوهم؛ لكونهم يمتلكون صفات أهلتهم لتلك النتيجة الرابحة.

- لله درهم من عصبة، خرجوا كأنما الناس أحجار وهم درر.
- يبادرون إلى الهيجاء كأنهم شباب قوم بدت أقدامهم بدر.
- من كل قِرن تكل القرن صولته، ما قارن العزم منه الجبن والخور.
- من كل شار شرى الأخرى بعاجلة.
- أكرم بهم قادة غلبا شعارهم، ضرب تبين به الهامات.
- قبائل ليس للأعدا بهم قبل.
- تجري بهم في عباب البحر ماخرة دسراء، قد أحكمت ألواحها الدسر.
- تكاد أن تسبق القمري إذ عره، رام، فطار، كما جاب الدجى القمر.
- حتى إذا آنست أعلام أبنية الإشراك، واشترك التأنيس والحذر.
- ظلت تحدر آسادا حيادرة، لها الوشيج عرين الظبي والظفر.
- فأوهنوا كلكل الإشراك وانتصروا، من كل هدر لئيم دمه هدر.

لقد تفاعل الشاعر مع هذه الفئة من المجتمع؛ لأنها الصفوة منه، وما قدمته وتقدمه لدينها ووطنها، فقد استهل وصفهم بأسلوب

التعجب المدحي «**لله درهم**» وبلغة في غاية التصوير، مستخدما أسلوب التشبيه بصيغ جديدة غير مستهلكة «**كأنما الناس أحجار وهم درر**». فالدرر دائماً يحتفظ بها، إلا أن هؤلاء القوم هان غاليهم، فكان فدى للدين والوطن، فإذا هانت الإنسان عليه روحه، فمن المسَّلم به أن المال فدى للروح، وعليه جاءت صورته الثانية «**يبادرون إلى الهيجاء**» فالمسارعة للموت، ولقاء الحتف، صفة لا يمتلكها صاحب الخور والجبن؛ بل يمتلكها ذو العزيمة والإقدام؛ لذلك تجسدت هذه الصورة بلغة تشبيهية رائعة، مما حققت إيقاعاً دالاً «**كأنهم شباب قوم بدت أقدامهم بدر**» كما أنهم أصحاب صولة وجولة في الحرب، وقد تحققت هذه الصورة الجزئية بفعل التضاد «**العزم** × **الجبن**» إذ قرينهم هو العزم وليس ضده.

إن تكرار الشاعر لمفردة «**شار**»[1] تُوحي ببعد تاريخي، ومرجعية عقدية؛ خاصة عند الإباضية، فالشراء يعني بيع النفس في سبيل نصرة الإسلام، انطلاقا من قوله سبحانه: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾[2]. هذه الدلالة أعطت السياق بعدا مرجعيا، وتجسدت فيها لغة التضحية بمعناها الواسع، فالجند الموصوفون أسند إليهم هذه الصفة؛ لأنهم قاتلوا استماتة في سبيل الله، لا في سبيل المنصب والكرسي، واغتصاب الأرض، وهذا المنهج هو الذي سار عليه الأئمة العدل في عمان. ثم ختم الصورة بقوله:

---

(١) معمر، يحي. الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، ط٢، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ص٩٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

أكـرم بـهـم قـادة غـلـبـا شـعـارهـم

ضـرب تـبـيـن بـه الـهـامـات لا الـشَـعـر

قـبـائـل لـيـس لـلأعـدا بـهـم قـبـل

إلا كـمـا قـرعـت بـالـقـرعـة الـحـجـر

فاستخدم أسلوب التعجب «**أكرم بهم.....**» في سياق وصف شجاعتهم، وأنهم فئة متماسكة متحدة، لم تزعزعها الأطماع والأهواء، وهذا ما قرأناه في قوله: «**قبائل.....**»؛ فمفردة قبائل أوحت بلغة الجمع؛ لكونها تحوي عدداً كبيراً من الأفراد، كما أن هذه الصيغة حملت بعداً نفسياً في نفسية العدو ـ الذي تعود التشرذم، والشتات ـ لكونها مدعاة لصناعة الذعر من خلال ذلك الخطاب الموحي بالوحدة والكثرة.

هذا البعد أكده التناص الديني، الذي أخرج السياق إلى لغة تكاد تكون جديدة في سياقها الخطابي بفعل التناص؛ إذ التثاقف بين النصين يصنع لغة تفاعلية من خلال التدخل الخارجي لذاتية النص «فالتفاعل في هذا المستوى شكل دينامية قائمة على الخفاء والتجلي، الانغلاق والانفتاح، الاشتغال الداخلي والامتدادات التداولية، محاولا بذلك تعرية ذاتية النص وتحقيق هويّته، بالمقارنة مع اللانص، ومع خارج النص، وبالتفاعلات المتبادلة مع النصوص الأخرى (التناص)»[1]. وذلك ماثل في بنية النص الحربي، فقوله سبحانه:

---

(١) حبيبي، ميلود. نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٢٤، ط١، ١٩٩٣، ص١٦٧.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَغِرُونَ﴾[1] ترجمة لسياق النص القرآني «قبائل ليس للعدا بهم قبل».

بعد ذلك التتابع التصويري لحيثيات المعركة في بعدها المكاني ـ البري ـ انتقل إلى الصورة المضادة لمكانية الحرب ـ البحري ـ :

ـ تجري بهم في عباب البحر ماخرة، دسراء قد أحكمت ألواحها الدسر.

ـ تكاد أن تسبق القمري إذ عره، رام فطار، كما جاب الدجى القمر.

ـ حتى اذا آنست أعلام أبنية، الإشراك واشترك التأنيس والحذر.

ـ ظلت تحدر آسادا حيا درة، لها الوشيج عرين والظبي والظفر.

هذه الصورة تؤسس لمنجز قامت به دولة اليعاربة، وهو بناء الأسطول البحري، واستطاعت بذلك تطهير السواحل العمانية حتى الشرق الأفريقي من الغزاة والمحتلين والقراصنة، فصورة الدسراء المستلهمة من القرآن الكريم[2] ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ وكذلك قوله جل علاه: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[3] ضمنها الشاعر صورته التي رصدها؛ ليبرز الصفات التي

(١) سورة النمل، آية ٣٧.

(٢) سورة هود، آية ٤٢.

(٣) سورة القمر، آية ١٣ ـ ١٤.

تميز بها هؤلاء القوم، فاستطاعوا هزيمة خصمهم. إن الصورة الحربية المتمثلة في ميدان البحر تحركت إلى بُعد آخر؛ فرسمت البعد الحركي للأسطول «**تكاد أن تسبق القمري.....**» الذي كاد أن يطير من شدة السرعة، كذلك نقرأ تداخل أبعاد الصور التشبيهية في لغته التمثيلية هذه.

لم تتوقف الرؤية الحربية البحرية عند ذلك؛ بل امتدت لتشكل رؤية متكاملة للعملية القتالية التي بدأها باليابسة واستمرت في البحر، ثم اقتربت من اليابسة مرة أخرى، إذ العدو لا يزال قابعا في الجزيرة التي اقترب منها بحذر «**واشترك التأنيس والحذر**» هذه السفن كانت تحمل على متنها «الجند» الذين رسمهم بصورة أخرى، تداخلت من الصور السابقة، وبلغة تكثيفية «**ظلت تحدر أسادا حيادرة، لها الوشيج عرين والظبي والظفر**» إذ أكد للخصم بأن هذه الأسد كثيرة، وأنزلت بسرعة، وهي ما أفادتها مفردة «**ظلت تحدِّر**».

تلك الصفات التي وُسم بها جند القائد، أهابت العدو، فردته مهزوما صاغرا. فالنص تفاعل بكثافة مع المتلقي؛ مما جسد الدلالات وأبعادها النفسية في ذاتيته، وبذلك خلقت إيقاعية النص ردة فعل إيجابية وسلبية، فالإيجابية جعلت من أنصار الإمام يتدافعون لنصرته والإنضواء تحت رايته، والسلبية زرعت في قلوب الأعداء الخوف والرعب، ومحاولة الهروب والاستسلام، وبذلك نجد لغة التلقي متجسدة في هذا البعد.

ب ـ الأنموذج الثاني: لبشير بن عامر الفزاري[1]:

كانت قراءتنا السابقة مع صورة المجاهدين في شعرية ابن سنان، والآن نتوقف مع أنموذج آخر لشاعر حاول إبراز دور المجاهدين في صورة القائد:

الـلـه أكـبـر هـذا أكـبـر الـظـفـر
طـار الـحـديـث بـه فـي الـبـدو والـحـضـر
نـصـرٌ مـن الله جـاءتـنـا بـشـائـره
عـن وقـعـة عـظـمـت فـي الـجـنِّ والـبـشـر

هذا المطلع يتجانس ونصية الخطاب الموجهة لطرفي المعركة، مثلها مثل قصيدة أبي تمام التي يقول فيها:

الـسـيـف أصـدق أنـبـاء مـن الـكـتـب
في حده الحد بين الجد واللعب[2]

إذ الشاعر يتناص وهذا النص في تكوينه الدلالي، فهما يتعالقان في وصف المعركة، ويتفرقان في زمانية الحدث ومكانيته.

فالنص يخاطب الجمهور بقوله: «**الله أكبر.....**» هذه اللغة الندائية شكلت بعدا صوتيا تآزر ولغة الدلالة؛ لذلك فالمتلقي

---

(١) الفزاري، بشير بن عامر. ديوان الفزاري، تحقيق وتعليق مهنا بن خلفان الخروصي، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية، ط١، ص١٤٦.

(٢) أبو تمام. ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، ط ٤، دار المعارف، مصر، ص٤٠.

الإيجابي تدهشه لغة النصر، بينما المتلقي السلبي ـ العدو ـ تدهشه لغة النص أيضاً، ولكن بلغة عكسية، سواء من سياق المقدمة، أو ما تتابع من صور أخرى:

وغـارة سـقـت الإفـرنـج كـأس ردى
وألـبـسـتـهـم رداء الـذل والـصـغـر

هذه الغارة التي كان لها البعد الانهزامي لمكانية العدو، كانت من جراء القوة الكامنة في جيش الإمام، الذي تأسس على لغة الدين، والذي كون في ذواتهم روح التضحية والمبادرة، قائدا وجندا[1]:

فـحـل مـتـى هـدرت يـومـا شـقـاشـقـه
روَّى عـطـاش الـمـواضـي مـن دم هـدر
ذاك الإمـام الـرضـي الـعـدل الـمـهـذب
سلطان بن سيف عظيم الشأن والخطر

فهذه الصفات الإيمانية للإمام، وشخصيته الفذة، وتكوينها الرباني، جديرة بالاقتداء، والسير على طريقها، وهذا ما تجسد في ذوات جنده الذين وصفهم الشاعر بقوله[2]:

كـرّوا ولـم يـرجـعـوا إلا وقـد فُـلـقـت
هـامـات فـيـلـق أهـل الـبـغـي والـبـطـر
لـلـه درُّ أسـود لا عـريـف لـهـا
إلا الـرجـال كـرام طـاهـري الأزر

(١) ديوان الفزاري، ص١٤٦.
(٢) ديوان الفزاري، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

بيض الوجوه ضراغيم صيودهم
من كل أصيد في الهيجاء ذي صعر
يقودهم من ليوث الحرب قسورة
ينوب أقرانه بالناب والظفر
بشرى لكم يا شراة الدِّين إن لكم
أجرا عظيما وجاها غير محتقر
سقيتم البيض والسمر اللدان دما
من هام كل عدو غاب في الحفر
فئتم بفيء ونصر شامل لكم
وفاء جمع النصارى غير منتصر
أمست علوجهم صرعى كأنهم
أعجاز نخل على الغبراء منقعر
تركتم بالظبي أبطالهم جُزرا
كأنهم عندكم ضرب من الجزر

حاول الشاعر رسم صورة مجسدة للمتلقي، لوضعية المعركة التي قادها أولئك المجاهدون الذين تميزوا بصفات أهلتهم للتمكن من نكس راية عدوهم، وقد استخدم الشاعر أسلوبا يبعث الدهشة في ذاتية المتلقي من جراء سياق أسلوب القصر والحصر الذي رجع إلينا بدلالة جديدة «**كروا ولم يرجعوا إلا وقد فلقت هامات فيلق أهل البغي والبطر**» فحدث الانتصار للمجاهدين الأبرار متحقق بإصرارهم، وهذا يجعلنا نقرأ النص بلغة مرجعية، تعتمد على البعد العقدي الإسلامي الذي يحرم التولي يوم الزحف، فإما النصر أو الشهادة، تلك العقيدة

الناصعة مكنت المجاهد من سيطرته على نفسه، فكانت متماسكة في مواجهتها لعدوها، وتماسكت مع فئتها؛ مما حقق لها ذلك الرجاء والعزيمة.

ذلك الانتصار على الخصم بعث النشوة والعزيمة والإقدام في نفوس المجاهدين، فتفاعلت معها الذوات الأخرى بالمجد والتأييد. فأسلوب التعجب السماعي الذي أفاد المدح «**لله در أسود**» وما تبعه من متتاليات مدحية «**بيض الوجوه، ضراغيم صيودهم**» كان بمثابة تعزيز نفسي لاستمرارية الوطيس، وإشعال جذوة الحماسة للمتخاذلين.

إن لغة الوصف التي استغرقها النص لم تكن ببعيدة عن المفردات القديمة التي استهلكها الأقدمون، ولكن الجديد الذي جاءت به ارتباطها بلغة السياق، فبيض الوجوه ساقها حسان بن ثابت في صيغة المدح في قوله:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول[1]

والشاعر هنا ساقها في صيغة المدح كذلك، إلا أن الافتراق يتجلى في سياقية المدح. كما أن الشاعر حاول أن يبعث برسالة مبطنة للمتلقي، وذلك من خلال رسم سير المعركة، وما حققته من إنجاز حسي ومعنوي، وقد تجلى ذلك الإنجاز في: ـ الأجر والثواب ـ إذ

---

(١) الأنصاري، حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبدأ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢ ١٩٩٤، ص١٨٤.

المجاهد المخلص متحقق له الأجر سواء انتصر أم لم ينتصر، وذلك متمثل في سياقه «**بشرى لكم ياشراة الدين إن لكم أجرا عظيما**».

ـ النصر ـ «**سقيتم البيض والسمر اللدان دما، من هام كل عدو غاب في الحفر**» فلغته الإشارية الموحية بالنصر متجلية في «**غاب في الحفر**» فهي تشير للاختفاء من الوجود تماما، وقوله: «**أمست علوجهم صرعى، كأنهم أعجاز نخل على الغبراء منقعر**» تجلت فيها لغة الإحالة مع قوله سبحانه ﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾[1]. «فالمدلول الشعري يحيل إلى مدلولات خطابية أخرى، وذلك إلى حدّ أنه بإمكاننا أن نقرأ في البيان الشعري الواحد خطابات متعددة، وهو ما يخلق حول المدلول الشعري فضاء نصيا مضاعفا تصبح عناصره قابلة لأن تنطبق على نص ملموس ومحدد، ونسمي هذا الفضاء تناصا»[2].

ـ الغنيمة: «**فئتم بفيء ونصر شامل لكم، وفاء جمع النصارى غير منتصر**».

لقد كانت اللغة النفسية الإيجابية حاضرة في النص «**فئتم بفيء ونصر شامل لكم**»، فالمتلقي الإيجابي ـ المجاهد المنتصر ـ يشعر بدافعية لا مثيل لها، إذ المعركة حققت له مجموعة من الآمال التي كان ينتظرها: النصر والغنيمة، والغنيمة تعزيز حسي بجانب التعزيز

(١) سورة الحاقة، آية ٧.

(٢) المختارات الشعرية، ص٢٢١.

الروحي، فهي ليست الغاية في بعدهم الجهادي. كما أن صورة النص تواصلت بلغة المقابلة؛ لتعكس بعداً نفسياً في المتلقي الآخر ـ العدو ـ «**وفاء جمع النصارى غير منتصر**» .فالصورتان حققتا لغة دالة في ذاتية المتلقي: الإيجابي والسلبي.

المبحث الثاني:
الأدوات الحربية وبعدها التصوري

الصورة الكبرى للمعركة تعتمد على مكونات جزئية، ومنها أدوات الحرب، التي بها ينشط السجال، وقد قال تعالى في سياق الاستعداد للعدو ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1]، فالآية تؤكد مبدأ الاستعداد للعدو «فالعرب الرحل منذ نعومة أظفارهم ذوو اطلاع واسع بالسرج، وكانوا يتميزون بالثبات المطلق على صهوة الحصان والقدرة على المناورة به؛ مما ساعد على تطوير الخيالة في الجيش العربي»[2].

إن الأدوات الحربية التي كان يستخدمها المقاتلون الأسبقون هي غير الآن، فوسائل النقل السابقة كانت تعتمد في الدرجة الأولى على

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

(٢) سيد فرج. قادة الحرب العرب، دار الفكر العربي، ط١ القاهرة ١٩٥٨، ص٢٢٤.

الخيول والجِمال وغيرها من الحيوانات، والآلة الحربية كما رصدها الشعراء تعتمد على: السيف والرمح والقنا «فالسيوف والرماح والعصي وغيرها، تعد أشكال التسليح الأساسية التي كانت تصيب القوى المعادية الحية، خيالتها، وقد كان السيف الواسطة الأساسية للصراع المسلح لخيالة تلك الحقبة الزمنية»[1] وقد تغنى الشعراء الجاهليون بهذه الوسائل، إذا ما حمي وطيس المعركة.

هذه الأدوات الحربية التقليدية هي المستخدمة في المعارك زمن أئمة اليعاربة، إذا ما أضفنا عليها الأساطيل البحرية، والمنجنيق وغيرها من الأدوات، وقد تفنن الشعراء العمانيون في وصف الآلة الحربية وما تفعله في هزيمة العدو، إذ لا يكاد تخلو قصيدة وصفية أو مدحية متعلقة بالشجاعة ووصف الحرب من ذكر شيء من هذه الأدوات، وقد أخرجوها بلغة تصويرية تباينت أبعادها من شاعر لآخر. لذلك فإن هذا المبحث يحاول قراءة هذه الصورة الحربية، مركزا على صورة السلاح بأنواعه، وكيف استطاع الشاعر أن يجسد فيه روح الحركة، ويجعله أداة ناطقة بأبعاده الصوتية، والنفسية.

أولاً: صورة الخيل:

واستمرارا لبلورة صورة السلاح الحربي، نتوقف مع صورة

(١) إبراهيم المحمود. فن الحرب عند العرب في القرن الثاني عشر «الحروب الصليبية»، تقديم حسن علي توركماني، ط١ دمشق ٢٠٠٧. ص١٤١.

الخيل؛ لكونها تعد القدرة الكبيرة على مناورة العدو؛ بل هي الأساس في مقارعة العدو، يقول الحبسي في قصيدة مطلعها[1]:

حَيًّا الأحبةُ بالتسليم فاستلموا يدي..

وقد كان توديعاً سلامُهم

ما ضر لو أنهم لي ساعة وقفوا

مقدار ما شربوا فيها وما طعموا

أسلوب القصيدة التراثية يتكرر، فبعض القصائد مقدماتها طويلة، وبعضها لم يتجاوز البيتين، وعليه فمقدمة القصيدة التي بين أيدينا جاءت متتاليتها الفكرية راسمة لوحة الديار ومن يسكنها، إلا أن الشاعر كان مبدعا حقا في مقدمته[2]، والتي تشير من بعيد إلى العلاقة اللامتناهية بينه وبين محبيه الذين نأوا عنه بعيدا، غير محققين آماله الحميمية في حبهم.هذا الاستهلال بدأ به قصيدته تمهيدا لمدحيته الرائعة، التي استغرقت أغلب أبياتها في وصف الخيل، وقد كانت أحد الأوتاد القوية في جيش الإمام سلطان بن سيف اليعربي، التي يقول فيها:

إن تسألني عن الخيل التي ملكت

يداه سلني فإني عارف فهم

---

(١) الحبسي، راشد بن خميس. ديوان الحبسي، تحقيق عبد العليم عيسى، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ط٢، ص٨٥.

(٢) للاطلاع على النص كاملاً: انظر الملحق رقم ١١.

تسعون ألف حصان من كرائمها
غير الرماك فما في قولنا وهم
فالكمت منهن والشقر الكرا
م ومنها الشهب والبلق والغربيبة الدهم
كريمة عودت أمر الحروب فما
يُعي عليهن إلا النطق والكلم

سنذكر البعض منها فى قصيدتنا.....

بدأت لغة الوصف بأسلوب الحوار المصدرة بالسؤال «**إن تسألني عن الخيل التي ملكت يداه**» وكانت لغة الجواب حاضرة «**سلني فإني عارف فهم**». فعارف + فهم، جوابا لمتردد، كما أن الإشارة السيميائية ترمز إلى ما يملكه الإمام من قوة ضاربة، إذ المتلقي عندما يصله هذا الوقع الدلالي يوقن بأن هذه الإجابة خلفها مرجعية توحي بمدى العدة والعتاد الذي يملكه، كما أن هذه القراءة تخلق لنا أبعادا دالة أخرى، نتبينها عندما نناقش بعد الصورة في مكانها.

لقد تحولت الصورة من لغة السرد التفصيلي لأنواعها، إلى بعدها التصويري، فالشاعر الحبسي يمتلك قدرات خيالية مكنته من الخروج بنا إلى قراءات أخرى للنص الوصفي، على الرغم كونه أعمى لا يبصر.

أكرم بها حصنا لو أنها صدمت
رضوى لأضحى هشما وهو منهدم

تعدو فتكبو الرياح الهوج من خجل
منها فيسكنها الإعياء والسأم
فلو قطعت بها البيداء معتسفا
جرت ولم يعيها سهل ولا علم
ولو أردت بها صيدا لأصبح من
قنيصك الأيلات الغلب والعصم
ولو أردت تصيد الطائرات بها
لكان من صيدك العقبان لا الرخم
ولو تسلطها يوما على أسد الشرى
لما أحصنتها الغيل والأجم
كادت تكون مع العنقاء طائرة
لو لم يكن بيدى فرسانها اللجم
فكيف يقوى العدا يوما على شهب
بها الشياطين في يوم الوغى رجموا
لم ينج منهزم منهن ملتجئ
لو أنه برؤوس النيق معتصم
تستغرق البر والأمطار ساكبة
وتقطع البحر والأمواج تلتطم
ومن طمراتها ألف معودة
للحرب يا شقوة الأعداء لو علموا

إن صورة الخيل التي جسدها الشاعر، جعل المتلقي يندهش حقا لذلك التركيب والبعد التصويري، ولذلك نحاول أن نقف على

الصورة الكبرى للخيل من خلال مكوناتها الجزئية: فالصورة الأولى قد أشرنا لبعدها الدلالي، الذي تعلق بأنواعها، وكثرتها؛ التي جعل منها قوة تُخيف العدو، ثم تابع تصويره:

أكرم بها حصنا لو أنها صدمت
رضوى لأضحى هشما وهو منهدم

فصيغة التعجب التي صدَر بها صورة الخيل توحي بمكانتها؛ لكونها السد المنيع والبناء العتيد، فالسياق الوصفي لها يشي بتميزها، إذ لو أن الجبال اعترضتها في جريها وشموخها لانهدت وتلاشت. هذه الصورة عند قراءتها الأولى تكاد لا تتعدى المعنى القاموسي، إلا أن القراءة المتأنية انزاحت إلى بعد إشاري ارتبط بالدلالة الكبرى، لبعدية النص، فالخيل وما اتصفت به من تجلي في القوة والثبات، وصل إلى حد الخيال المبالغ فيه، وما هو إلا انزياح لدلالة كبرى جاء ببعد قصدي، إذ الصورة تتعالق مع القائد ـ الإمام اليعربي ـ هذه القراءة تذهب لإشارة أخرى تتعلق بالمتلقي السلبي ـ العدو ـ فتزرع بين جوانبه روح القلق، والهيبة من الطرف المضاد ـ الإمام ـ لما يمتلكه من قوة ضاربة.

إن البعد التصوري لذلك الحيوان ـ الخيل ـ خرج عن اللغة المألوفة، فوصفها بصفات تعملقت فيها أرضية الخيال، ومنها ما جاءت تلك الأوصاف حاملة لغة التضاد الدلالي:

«**تعدو**» فالضمير عائد للخيل، إذ الخيل من صفاتها السرعة، والعدو؛ لكن الباث ألبسها صورة مكثفة، خرجت من الصورة التي قد

يصدقها المتلقي، «**فتكبو الرياح الهوج من خجل منها، فيسكنها الإعياء والسأم**» فالرياح بسرعتها، والهوج بدلالتها، لم تستطع أن تقف جنباً إلى جنب مع هذا الطائر ـ الخيل ـ بل تراجعت الرياح خجلة، وماذا عساها أن تفعل سوى الاستسلام؛ لكونها أصابها الأعياء والسأم. إن الدلالة المتكونة من هذه الصورة؛ لحرية برجل استطاع أن ينفذ إلى خصمه وعدوه، ما عجز عن مطاردته الأقوياء، فاستحق هذه الإطراء وهذا الوصف، فالصورة تعملقت بانزياحها ومرجعيتها، إذ المفردات بذاتها لم تحيلنا إلى هذه القراءة، والذي أحالنا لهذه القراءة المرجعية النصية ما قيل في وصف الخيل، وما جاء بعدها من دلالات.

صورة الخيل الرمزية لم تكن نهايتها هنا؛ بل تواصلت؛ لتبين للقارئ بأنها لم تكل ولم تسأم، فهي مستمرة في هدفها وغايتها، ولا يمكن لمعترض أن يعترضها. إلا أن هذه الصورة جاءت بلغة تركيبية مغايرة عن الصورة السابقة، ذلك مما جعل الدلالة تسلك بعدا آخر. «فتعدو» الضمير فيها عائد مباشرة للخيل، بينما «**فلو قطعت بها البيداء.....**» وقعت في زمن المفعولية، وهذا يؤكد القراءة المرجعية لرمزية الخيل، إذ الضمير في «**قطعت**» عائد للفارس الذي يقودها، ومن هنا نجد أنفسنا أمام صورتين تشتركان في تكوين الدلالة «**القائد والخيل**» فصورة الفارس، تفردت في قدرتها على السيطرة لهذه الخيل، التي فاقت صورة الخيل في عُرفنا العام، وبذلك خرجت صورتها إلى ما يسمى بالخيال الأسطوري؛ لكون صفاتها لا تصدق على مستوى الخيال، فكيف على مستوى الحقيقة.

فلو قطعت بها البيداء معتسفا
جرت ولم يعيها سهل ولا علم
ولو أردت بها صيدا لأصبح من
قنيصك الأيلات الغلب والعصم
ولو أردت تصيد الطائرات بها
لكان من صيدك العقبان لا الرخم
ولو تسلطها يوما على أسد الشرى
لما أحصنتها الغيل والأجم
كادت تكون مع العنقاء طائرة
لو لم يكن بيدى فرسانها اللجم

فمفردة الخيل أصبحت رمزا أسطوريا؛ لتحميل دلالتها دوال فوق مستوى الخيال، إذ هي: طائر يتميز بالقوة، والانقضاض على الفريسة؛ لخبرتها في مجال القنص «ولو أردت بها صيدا لأصبح من قنيصك الأيلات الغلب والعصم» فالصيد الذي يحصل عليه، هو الشيء النادر والصعب، ولا يتمكن من الوصول إليه إلا صاحب القوة الفائقة وهو: «الآيلات، الغلب، العصم». واستمرت الصورة في إبراز التفرد في مجال الصيد من قبل هذا الطائر الوهمي، فأصبحت فريسته العقبان، لا الرخم. والقارئ يعلم بأن العُقاب هو من عداد الطيور الجارحة المفترسة، لكنه أصبح هنا قنيصة لا قانصا، لذلك المعادلة الدلالية تغيرت سياقاتها هنا، فقلبت المفاهيم، إذ لم نقرأ يوما عن خيل بأنها أصبحت حيوانا مفترسا، وهذا ما يجعل الصورة تتحول إلى أسطورة خيالية، فأصبح القانص مقنوصا، والفارس ضحية. والتكثيف

التصوري لا يزال يعطي دفقا تراكميا لصورة الطائر الوهمي ـ الخيل ـ فهي إن سُلطت على الشجعان والفرسان، لما استطاع أحد إيقافها.

ربما المتلقي لفت نظره بعض المكونات التركيبية للصورة السابقة؛ كونها أعطت قراءة جديدة للنص، فتصديره لجزئيات الصورة في الأبيات السابقة:

فلو قطعت بها البيداء.

ولو أردت بها صيدا.

ولو أردت تصيد الطائرات بها.

ولو تسلطها يوما على أسد الشرى.

فأسلوب الشرط الذي صدر به مصادر الصور، قرأ جوابا حاصلا في زمن الشرط، وعليه فالنص تغيرت صيغة الخطاب من الغائب الذي= الموصوف إلى المخاطب، وهذا يعيد الصورة إلى خطابها الأول، الذي تصدر الصورة في قوله: «**ملكت يداه**» فالتصرف بهذه القوة العسكرية المتمثلة في رمزية الخيل، مملوكة بيد الإمام سلطان بين سيف، إذ لغة الشرط تعطي الخيار له، وليس لغيره، كما هو واضح من سياقية النص.

فكيف يقوى العدا يوما على شهب

بها الشياطين في يوم الوغى رجموا

لم ينج منهزم منهن ملتجيء

لو أنه برؤوس النيق معتصم

تستغرق البر والأمطار ساكبة
وتقطع البحر والأمواج تلتطم

ومن طمراتها ألف معودة
للحرب يا شقوة الأعداء لو علموا

إذا كانت نهاية الصورة السابقة، أعطت الخيار للقائد في التصرف بهذا الحيوان البري الفتّاك، فمتتاليات هذه الصورة جاءت نتيجة لذلك التصور، الذي أوحى بالقدرة الفائقة في ميدان الفروسية، والانقضاض على الخصم. فأنى للخصم أن يصبر ويقوى لمقارعتها ومنازلتها؛ خاصة أن من صفاتها «**شهب**» والشهب لا يرجم بها إلا الشياطين، كما أن القدرة على تصفية الخصم بأكملهم أينما كانوا وحلوا أمر في غاية الصعوبة، إذ لم يستطع أحد القيام بذلك سواها.

بعد تلك الجزئيات المكونة لصورة الخيال في نص الحبسي، يأتي في نهايتها؛ ليتخطى بنا عالمنا المتخيل في صورة تستعصي على المتلقي قراءتها، ويخفق المبصرون في تصويرها.

صورتان تشكلان رؤية مضادة على مستوى البيت الشعري الواحد:

تستغرق البر والأمطار ساكبة
وتقطع البحر والأمواج تلتطم

فالمضارعة الزمنية «**تستغرق**» التي استهل بها صورته، تحيل القارئ إلى أبعاد تصورية توحي بعدم الانقطاع في السير؛ بل

الاستغراق للبر أمر غير معقول، هذه المفردة أزاحت الدلالة إلى لغة خرجت من البعد التصوري إلى البعد الأسطوري.

أن التداخل التكثيفي للصورة السابقة، حول الدلالة إلى أبعاد دلالية أخرى، جعل منها زرع الخوف في المتلقي ـ السلبي ـ فالخيل تستغرق البر، في وقت تصعب فيه الحركة من شدة الأمطار، إلا أن الصورة توحي باستمرارية الحركة وبكل جرأة، متحدية جميع العوائق والقواطع التي من شأنها التعطيل. ثم إن النص يفاجأنا بصورة مضادة للصورة السابقة في مكانيتها وليس في مفهومها «**وتقطع البحر والأمواج تلتطم**» فاختراق البر أمر ممكن، بخلاف البحر، فقطعه أمر غير مصدق؛ خاصة فترة هيجانه وتلاطمه.

إن صورة الخيل تحولت إلى رمز أسطوري، من خلال الصفات التي ألصقت بها: «**قناصا، وشهب يرجم، وقطع البحر...**» إلا أن ذلك التصور الأسطوري يحيلنا لقراءة النص بمرجعية أخرى، تجعل منه رؤية جديدة، تتمثل في وصف القوة الضاربة التي يمتلكها ابن سلطان؛ وهو مما مكنه في تطهير الشواطيء العمانية من دنس المحتل البرتغالي، ومواصلة إبحاره نحو الشرق الأفريقي، وصولا لممباسا وموزمبيق.

هذه الأحداث خلقت في الشاعر الأعمى خيالاً لم يصدق؛ مما كان سببا في تفجير صورة خارجة عن المعتاد، فقدرته التصورية حولت الكائن الحيواني «**الخيل**» إلى أسطورة، هذه الصورة تكاد تكون نادرة إذا ما قرأنا صور الشعراء الآخرين في زمن البحث.

ثانياً: الأدوات الحربية الأخرى:

إذا كانت الصورة السابقة - صورة الخيل - قد رسمت أداة مهمة من أدوات الحرب التي كانت المحرك الوسط للمعركة، إلا أن هناك أدوات حربية أخرى مثل «**السيف والرمح، وما يلحق بهما من أدوات**» هذه الأدوات تعد عاملا مهما في المعركة. وقد أشار أحد الكتاب الغربيين في سياق الحديث عن المعارك الدائرة بين المسلمين والصليبيين، إلى أهمية هذه الأدوات في المعركة فقال: «لقد كان بعض الفرسان العرب مسلحين بالأقواس، والبعض الآخر كان مسلحا بالرماح، وآخرون بأسلحة الرمي والقذف، وأسلحة القتال القريب»[1]. عليه سنتوقف عند بعض الصور التي جاءت ضمن سياقات متعددة في وصف الأدوات الحربية، ومن هذه الصور: صورة السيف، إذ الغالب كونها مرتبطة بصورة البطل، وتعد رمزا لصورة القوي الشجاع، وهذا ما جسدته هذه المقاطع الصوتية:

أ - الأنموذج الأول: للمعولي[2]:

ولا تنس سيفا نجل سلطان سيفنا

هو العضب حدا لم تهله الوقائع

---

(١) ستروكوف. تاريخ فن الحرب مجتمع الرق والإقطاع، موسكو. دار المنشورات العسكرية ١٩٦٦، مجلد ١، ص١٥٢.

(٢) ديوان المعولي، ص٢٣٨، لقراءة النص كاملا انظر الملحق ٩.

فـمـا قـامـت الـشـجـعـان إلا وسـيـفـه

بـهـامـاتـهـم مـن مـأزق الـحـرب راكـع

يـقـوم مـقـام الـمـجـر فـي الـحـرب شـدة

ويـرجـع عـنـه خـصـمـه وهـو ضـارع

فصورة السيف جاءت في سياق وصف القائد الإمام، «**هو العضب حدا لم تهله الوقائع**» فقوله هو العضب، أزاح إليه صورة المشبه؛ مما جعل المعنى يزداد قوة في لغة السياق المقصودة، فالصورة لا تتعلق بالسيف، بل تعلقت بالموصوف، ولكن السيف هو مصدر القوة التي اكتسبت منه للمدوح، بينما الصورة الثانية ـ «**سيفه بهاماتهم من مأزق الحرب راكع**» ـ دلالتها تفيد الملكية، فالسيف الذي يملكه قد علا هامات الخصم، وكانت له أفعال إيجابية في هزيمة العدو، وسلبية في ذاتية المهزوم.

إن الصورة السابقة للسيف، جاءت في سياق اعتادت عليه لغة القصيدة الجاهلية، وأصبح مفهوما مستهلكا، بينما تجد بعض الصور تخلق بعدا خياليا، فتجعل من النص عند تلقيه متنوع في أبعاده التصورية، وسياقاته الدلالية؛ كل ذلك من جراء لغة الإبداع الشعري.

ومن الصور التي حاولت ملامسة ذلك البعد، ما ساقه الشاعر ضمن نص جاء بلغة وصفية لفتوحات أئمة اليعاربة:

ب ـ الأنموذج الثاني: للحبسي[1]:

وليلة سعد مزق السيف ثوبها
كأن دجاها بالسيوف نهار
تزاحمت الأبطال فيها كأنما
بها القوم سفن والدماء بحار
ويوم أثار النقع فيها سحائبا
من الحرب حمرا حشوهن غبار
كأن يحاميم العجاجة عارض
تلامع فيه كالبروق شفار

البعد الدلالي لنصية الصورة، لا يمكن أن يعطينا صورة مكتملة إلا من خلال ربطه بكليتها، من خلال السياق، إذ سياق النص كان في وصف الثلة المنهزمة، أيام فتوحات أئمة اليعاربة، والتي بدأت بعمان، وتواصلت في تطهير شواطيء الخليج من دنس المستعمرين، كالبحرين وغيرها، وكانت سياقية دوال مدحية هذا النص مرتبطا بأحداث فتوحات البحرين، وردها من أيدي المستعمرين[2]، فهي سجل مفخرة واعتزاز للدور العماني في ردع الطواغيت. وصورة السيف ما هي إلا جزئية صغرى ضمن صورة كبرى رسمتها أبعاد النص الكلي.

---

(١) ديوان الحبسي، . ص٦١، انظر الملحق ١٠.

(٢) ديوان الحبسي، ص٦٠.

فمفهومية الصورة للسيف هنا غير الصورة السابقة، فالسيف أسند إليه الفعل مفهوميا، في تحويل ليالي السعد عند أعدائه، وقلب مجريات الأمور؛ ذلك لكونه يحمل سمات القوة والشجاعة، وذلك متمثل في مجريات المعركة التي خاضها:

- **فالسماء الداجية كأنها نهار من كثرة الإضاءة من جراء تصادم السيوف.**
- **تزاحم الأبطال، فهم من الكثرة مثل السفن.**
- **كثرة القتل، حولت اليابسة إلى بحر أحمر.**
- **النقع وتحول النهار إلى صورة ليلية بفعل السحب الكثيفة المتكونة من صيرورة المعركة.**

فالشاعر جسد لغة جديدة التصقت بالسيف، إذ أسند الفاعلية للسيف، بخلاف صورة بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[1]

إذ يجمع بين الصورتين، كونهما لشاعرين فقدا البصر، كما أنهما وصفا سيرورة المعركة، وافترقا في صورة السيف، فالحبسي أسند العمل للسيف «**وليلة سعد مزق السيف ثوبها**» بينما بشار أعاد الضمير إليهم «**وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه**».

---

(١) بشار بن برد. ديوان بشار، شرح صلاح الهواري، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م، ج ١، ص١٦٧.

فالقراءة التأويلية للصورة تقرأ قوة الإمام وجنده، وشدة الموقف الدائر بين الطرفين، فقد خلفت المعركة شهداء من صف الإمام، وقتلى وجرحى من صف العدو؛ وعليه فالأداة الحربية مهما كانت قوتها ومواصفاتها، فهي لا تصنع شيئاً بدون إدارة وقيادة.

ج ـ الأنموذج الثالث: للغشري[1]:

ألا يـا صـاح هـل نـبـغـي شـراء
لـمـهـر سـابـق هـوج الـريـاح

وهـل تـبـغـي كـمـثـل الـبـرق سـيـفـا
وخـطـيـا تـعـد مـن الـرمـاح

وهـل لـك أن تـجـيـب نـداء داع
دعـا جـهـرا بـحـي عـلـى الـكـفـاح

كـفـاح يـطـوي كـل جـور
ويـنـشـر كـل عـدل بـالـسـلاح

فـإن مـن الـصـلاح قـتـال قـوم
أبـو عـن نـهـج مـنـهـاج الـصـلاح

وأربـح تـاجـر مـن بـاع نـفـسـا
بـجـنـات وخـيـرات رداح

(١) الغشري، سعيد بن محمد بن راشد. ديوان الغشري، تحقيق عبد المنعم خفاجي، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ص٨٩.

فـذاك هـو الـفـخـار ولـيـس فـخـر

بـشـرب الـراح فـي وقـت الـصـبـاح

إن نبرة الخطاب في النص تحمل مكتنزات دلالية، توحي بقراءة المستقبل الحربي، والاستعداد له، إذ لا يمكن مواجهة الخصم بدون عتاد وعدة؛ لذلك جاءت مفردات النص مصدرة بأسلوب النداء؛ لشراء الأسلحة استعدادا لمواجهة العدو متى ما حدث. وقد تنوعت صيغة الخطاب، من النداء إلى الاستفهام بأسلوب هادىء ظاهره غير ملزم، إلا أن ذلك الأسلوب تغيرت نبرته الخطابية إلى لغة التوكيد والأمر، إذ اقتناء الأسلحة أمر لا بد منه؛ لكون الخصم متربص بنا، ولا بد من الوقوف في وجهه ومقارعته، بل ذلك أمر واجب، ثم ختم الصورة بلغة خبرية حملت لغة الإغراء لذلك الأمر.

المبحث الثالث:

الفنون الحربية وأبعادها الدلالية

أرضية المعركة صعبة لا يبتدرها إلا من كان قوي المراس فيها؛ لذلك نجد الرسول الأعظم «صلوات الله وسلامه عليه» يتخير أفضل الرجال شجاعة وجرأة وإيماناً وعزيمة في قيادة المعارك التي تدور رحاها بين الإسلام والكفر، وهذه دلالة كبرى على أن القيادة الحربية ليست منصبا يتسابق إليه القوم؛ بل هي كفاءة وقدرة؛ لكون القائد هو صمام الأمان للجند الذين يقودهم، ويتخطى بهم جنبات العدو، ثم هو من يرسم الخطة لمقارعة الأعداء، وما هي الوسائل التي تصلح في هذه المعركة ولا تصلح للأخرى، إذ الحنكة متجلية وبارزة في تلك الأساليب التي تواجه بها الكتائب المختلفة. كما أن «الانتصارات العسكرية التي تحققت في حروب الفتوحات الأولى لم تكن نتاج الحماسة الدينية فحسب، وإنما أيضاً نتاج وجود فن عسكري متطور جدا، ووجود قيادات استراتيجية وتكتيكية على أعلى مستوى»[1]

(١) منير شفيق. الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب من السيف والدروع.. إلى=

وهذا مما حقق البعد الانتصاري بتآزر الصدق والعزيمة والإخلاص والتخطيط الاستراتيجي الجيد.

أولاً: وصف مجريات المعركة:

عصر اليعاربة تجلت له قيادات أحنكتها لغة المراس الحربي، فاستطاعت اختراق ثغور أعدائها بحنكة واقتدار؛ وبذلك ألحقت بها أسوء الهزائم. هذه الأحداث عاشها النص الشعري بلغة جسدت تلك المواقف البطولية، من جراء نقل تلك الصور بقصدية إبلاغ المتلقين لتلك المهارات المشجعة، والمنفرة في ذاتية الحدث، فجاءت لغتها الإيجابية متجلّية في المنتمين لصف الجهاد ومقارعة الأعداء؛ لكونها تعد وسيلة داعمة لكيفية دحر العدو وهزيمته، بينما برزت سلبيتها في جعل العدو يتقهقر؛ خوفا من تلك الطرق الجريئة في مقابلته، فالمسلم يستبسل شجاعة، تاركا الخور والجبن وراءه، هاربا من الدنيا ملتذا للقاء لله، فلم تهبه ضربة السيف، ولا قرعة الرمح؛ بل تسابق لتلقي تلك الضربات بصدره ونحره، خلافا لصورة العدو الذي جاء ويحمل حب البقاء؛ مما يجعله خائفا لملاقاة الخصم؛ خوفا من الموت وانتهاء ملذاته.

=الصاروخ والأنفاق، مع ملحق بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط١ ٢٠٠٨، ص٢٦٢.

- يقول الحبسي[1]، في فتح جزيرة البحرين[2] سنة ١٧١٧ في عهد الإمام سلطان بن سيف:

ألا فانظروا كيف الأعاجم صاروا
غدوا شجرات مالهن قرار
طغوا وبغوا في الأرض حتى أصابهم
عقاب أليم مهلك وتبار
فحلّت بهم من مالك الأمر نقمة
وسوء عذاب دائم ودمار
وقد ضُربت أعناقهم بمناصل
كما خربت دور لهم وديار
فصاروا بها رغم الأنوف كأنهم
سماحج وحش عاقهن دثار
وقد شربوا كأسا من الحتف والردى
فخروا على الأذقان وهي تدار
وجروا على أذقانهم بعد ما جروا
بخيل وقد جروا الذيول وحاروا
وقد حملتهم حين ما عاينوا الظبي
مطايا المنايا للبوار فباروا

---

(١) ديوان الحبسي، ص٦٠ ـ ٦٢.

(٢) وندل فليبس، تاريخ عمان ـ ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨١ ص٦٩.

ليعلم ملك العجم أن جيوشه
إلى الموت قد يسرى بهم ويسار

فدوخهم بالمشرقية فيلق
عظيم.. لديه المعظمات صغار

وقد أيموا من بعد ذلك نسوة
عراهن مع سوء الحياة صغار

تباكي عليهم بالنهار وبالدجى
وأدمعها عند البكاء غزار

كأنهم لم يعلموا أن باعنا
طويل وأعمار العداة قصار

يرسم النص السابق لوحة فنية لصورة المعركة، إذ مقدمتها استهلها بقوله:

ألا فانظروا كيف الأعاجم صاروا
غدوا شجرات مالهن قرار

طغوا وبغوا في الأرض حتى أصابهم
عقاب أليم مهلك وتبار

فحلّت بهم من مالك الأمر نقمة
وسوء عذاب دائم ودمار

فاللغة الافتتاحية للنص تصدرتها دلالات خطابية مقصودة، إذ القراءة التأويلية أوحت بمفردات مشحونة تهديدا، ووعيدا لمعسكر الكفر والاستعمار، الذين تعدو على ممالك الإسلام ومقدساته،

فاستحقوا تلك الضربات الموجعة، التي أوصلتهم إلى تلك النهاية القاصمة من قبل آمر الأمة الإسلامية وقائدها؛ فالإسلام لا يرتضي أن يهان أو يدنس شيء من مقدساته وأفراده، ومن يتعد فالويل ثم الويل له.

وإذا كنا في سياق التلقي لمعرفة الفنون الحربية التي كان يُقارع بها الخصم، فإن النص جلاّها في صور عدة:

١ ـ وقد ضُربت أعناقهم بمناصل

كما خربت دور لهم وديار

فصاروا بها رغم الأنوف كأنهم

سماحج وحش عاقهن دثار

وقد شربوا كأسا من الحتف والردى

فخروا على الأذقان وهي تدار

إن فن مقارعة العدو تعتمد على قدرة المقارع، ومدى التفوق بينه وبين خصمه، وما هي الأساليب التي يستطيع بها دحر معانده؟

وعليه فالصورة السابقة رسمت صورة المعركة التي كانت بين طرفين، إلا أنها جاءت في سياق التأييد والنصر، من خلال صورة المنتصر الذي استطاع أن يجر نصله من غمده ويقطع بها عدوه، وهذا يؤكد أن اليد التي حملت النصال كانت متميزة بالقوة، وإلا لما استطاعت ضرب الأعناق، وإسقاط الرؤوس من أعاليها. لم تتوقف آلية الصورة عند ذلك؛ بل تواصلت لترسم صورة العدو بلغة المقارنة الضدية:

كانوا = رافعي الأنوف + العزة + الترف.

صاروا = صيدا مثل حمار الوحش + خروا على الأذقان بدمائهم.

الصورتان يجسدان نوعية الحياة قبل وبعد، فالحرب حولت حياتهم من صورة = مريحة إلى صورة + جحيم = ذل الدنيا وصغارها + انتهاء الحياة + خسران الآخرة.

٢ ـ وجروا على أذقانهم بعد ما جروا

بخيل وقد جروا الذيول وحاروا

وقد حملتهم حين ما عاينوا الظبي

مطايا المنايا للبوار فباروا

صور النص تُلاحق بعضها، وتعيش لغة التتابع المنطقي لواقعية المعركة، التي انتقل بها النص من حدث لآخر، فدوال الصورة السابقة = قصل أعناقهم بالمناصل، والصورة الثانية تعيش لغة غايتها وعظ الآخرين، فبعد تساقطهم في أرض المعركة أُخذوا وجروا على الأذقان، إشعارا لهيبة المنتصر، وردعا للمتربصين الذين ربما تحدثهم أنفسهم بالخيانة. هذه الصورة تنزاح بنا إلى قراءة أخرى في ذاتية المنتصر، فهو لم يصل إلى هذه الحركة في التمثيل بالعدو وإهانته؛ لولا أنه تلقى من عدوه أبشع من ذلك.

إن صور مواجهة العدو تختلف باختلاف المواجهة، لذلك نجد النص ينقلنا لصورة أخرى:

٣ ـ فدوخهم بالمشرفية فيلق

عظيم لديه المعظمات صغار

فصُورُ الشاعر في مواجهة العدو جاءت على لغة تتابعية: تارة ضرب بالنصال، وأخرى جر بالخيول، وثالثة التدويخ بالمشرفيات. إلا أن هذه الصورة الأخيرة ربطها بامتداد نصي = «**فدوخهم بالمشرفية فيلق عظيم لديه المعظمات صغار**» وهي صورة حملت أكثر من قراءة، فالسيوف التي أصهرتهم وجعلتهم يشربون كأس الردى، لم تكن فردية، بل كانت جمعا قويا متحدا = «**فيلق عظيم**» تهون أمامه المعظمات. بتلك السمات استطاع المجاهد تدويخ وهزيمة خصمه القوي المتجبر، وعليه تحولت حياة من كانوا تبعا لهم صغارا أذلاء. هذه الإشارة:

٤ ـ وقد أيموا من بعد ذلك نسوة

عراهن مع سوء الحياة صغار

تباكي عليهم بالنهار وبالدجى

وأدمعها عند البكاء غزار

ـ كانت لها إثارة نفسية، لا يستطيع بلعها أي إنسان، لأن لغتها كان لها وقع قوي على ذاتية المتلقي؛ مما جعلته يحسب حساباته في المستقبل.

النص لم يتوقف عند لغة النقل المباشر لسيرورة المعركة، وكأنه آلة تصوير، بل تعدى لغة النص القريبة، إلى بعد تمازجت لغته السياقية مع مشاعر الذات المتلقية، وبذلك حقق البعد التصويري الرؤياوي للصورة الحربية وفنيتها في مواجهة الخصم.

«كـأنـهـم لـم يـعـلـمـوا أن بـاعـنـا
طـويـل وأعـمـار الـعـداة قـصـار»

ثانياً: استراتيجية مهاجمة العدو:

استراتيجية مهاجمة العدو تختلف باختلاف الزمان والمكان، فالمعارك الدائرة زمن المصريين واليونان والفرس والرومان استراتيجيتها أخذت شيئاً من الاختلاف إذا ما قورنت بعصر الإقطاع في أوربا «والعصر الذي سبق الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية، وكذلك تكتيك المعركة نفسها. فقد كانت الاستراتيجية في تلك الحروب تستهدف سحق الجيش المقابل في المعركة وتجريده من السلاح وضم بلاده إلى سيطرة الجيش المنتصر. وكثيرا ما أخذت استراتيجية المناورة قبل الاشتباك دراسة وتخطيطا للطرقات، واتباع الطريق الذي يضع القوات في وضع أفضل، وإن كانت في النهاية تأخذ شكل تقابل الجيشين لبدء الالتحام»[1]. هذه الفنون الحربية جسدتها المعارك الدائرة بين معسكر الإسلام بقيادة دولة اليعاربة، ومعسكر الكفر الغاشم بقيادة الاستعمار. فجاءت النصوص الشعرية مبرزة تلك الملاحم الحربية بلغة تصورية واصفة لذلك.

---

(١) فن علم الحرب، ص١٠٦.

أ ـ الأنموذج الأول: للمعولي[1]:

قد حاذروا من أمور أنت صانعها
بهم نكالاً فلم ينفعهم الحذر
فرقتهم فرقا فانحل عقدهم
بما أساءوا وعن أبنائهم نفروا
فمنهم في عذاب لا نفاد له
ومنهم في قيود فكُها عسِر
ومنهم في مطامير مضيقة
بها الأراقم والديدان والقذر
ومنهم في رؤوس الشُّمّ منهزما
ومنهم في مفازات وما قُبروا
والحمد الله نحن السالمون ولا
يسومنا حال قوم إن هم كفروا

نعيش صورة جديدة ضمن البعد التصوري السابق لفنية مقارعة العدو، فالخطاب النصي يبعث للمتلقي صورا مارسها الأجناد في معركتهم ضد الخصم المعتدي؛ إجبارا لرده عن العتو والزهو الذي سيطر عليهم، فمن تلك الخطط التي ترمي بالعدو في أوحال الهزيمة: التفتيت والتشرذم والتشتت «**فرقتهم فرقا فانحل عقدهم**» فالصورة التي تلقّاها السامع أوحت بأنهم أصبحوا متناثرين، مثل ما

(١) ديوان المعولي، ص١٨٠، انظر الملحق رقم ٨.

يكون عليه العقد بعد تساقطه. ونتيجة هذه الفنية الحربية المخططة المدروسة، حولت أولئك الأعداء إلى شراذم أصبحوا حتى سيطرة خصمهم فوقعوا في شتى العذاب الذي استحقوه بفعل نكرهم وخيانتهم:

ـ فمنهم في عذاب لا نفاد له.

ـ ومنهم في قيود فكُها عسِر.

ـ ومنهم في مطامير مضيقة بها الأراقم والديدان والقذر.

ـ ومنهم في رؤوس الشُمّ منهزما.

ـ ومنهم في مفازات وما قُبروا.

تلك صور رسمها النص، فخرجت متمثلة للواقع الحربي عند الهزيمة، ومشاهد استحقها العدو الغاشم؛ لتعاليه على حرمة الدين والإسلام، وبذلك ألقته هزيمته وجبنه في ذلك الحدث، الذي جعل من المتلقي السلبي يجري خوفا وقلقا من أن يقع في حبال تلك المصائد.

إن لغة التصاوت على مستوييها العمودي والأفقي حقق لغة إيقاعية داخلية، أكدت أبعاد الدلالات المتمثلة في تلك الصور التي نقلت من ميدان المعركة فكانت انعكاساتها على المستوى الإيجابي للمجاهدين المتمثلة في لغة التعزيز والاندفاع والتضحية. والمستوى السلبي الذي حقق بعد الخوف والهرب للعدو من مواجهة الميدان في المستقبل.

فالصورة في كليتها رسمت أفقا ينبيء عن التمكن والقوة التي كانت متوفرة في صف المسلمين؛ مما جعلهم يأسرون فريقا،

ويقتلون فريقا آخر، وهو تعبير في النهاية عن الفوز الساحق ضد العدو؛ مما مكن المسلمين من رفع رايات العزة شماخة.

إن النص الشعري الذي يعيش هذه الأحداث، فينقلها بتفاصيلها؛ يكون لها بعد إيجابي يتحقق في بعث لغة الأمل والتقدم، وهو ما جعل القيادة العمانية بأئمتها العادلين تتقدم نحو الأمام بكل عزيمة وإصرار، محررة البر والبحر من السيطرة الاستعمارية، مؤمِّنة الطرق العامة والخاصة، كما أن هذه الدولة أصبحت مهابة، وذات قوة واسعة؛ مما جعل الآخرين يستنجدون بها في الملمات.

إن الفنية التي يُقارع بها الخصم تختلف باختلاف المقام، وعليه فمواجهة العدو يحكمها المقام والظروف المحيطة بها، إذ اللقاء المباشر وجها لوجه غير متاح في جميع الأوقات ولا يصلح في كل الأحوال، فربما يكون العدو صاحب عتاد وعدة، وعليه تصعب مواجهته، وبذلك يلجأ القائد العسكري لاختيار بدائل أخرى؛ سعيا منه لتحقيق الانتصار، وحماية ما أنيط به من رعاية ومسئولية.

إن من تلك البدائل لحماية الثغور، القلاع والحصون، وهو ما تميزت به عمان في أغلب مدنها؛ لكون تلك الأبراج المرتفعة تعد عينا ترقب العدو من بعد، كما أنها مرمى آمن للخصم، وحماية أولية للموطن، وفي هذا السياق نجد نصا يلقي بعدا تصوريا عن هذا النوع من الفنون الحربية، الذي كان مستخدما زمن دولة اليعاربة.

ب ـ الأنموذج الثاني: للغشري[1]:

وفي ذي الشهر أحرار توالوا
لتسوير فقام هناك سور
به سوني[2] لقد صارت حصانا
تحامتها الدوائر إذ تدور
به أمر البلاد وساكنيها
غداة تكاملت منها الستور
فبين ستوره أمواج حتف
ومن ريب المنون به بحور
فجانبها البغاة غداة شاعوا
حتوفا من مرامية تفور
وقام على بناء السور شخص
حميد الرأى لبق عنقفير
مجد طاعن الأعدا برأي
وعاضدة بهاليل صقور
فسور قد تصيّر غار أسد
حمت أشبالها ولها زئير
فإن الحرب يعقبها أمان
إذا اشتدت وشب لها هدير

---

(١) ديوان الغشري، ص١٢٤ ـ ١٢٥، انظر الملحق رقم ٣.

(٢) سوني، المقصود بها بلد العوابي التابعة لمحافظة الباطنة شمال.

وإن العز في ظلّ العوالي
وتقوى الله ما هبت حرور
صلاة الله ما اختلفت رياح
على المختار إذ هبت دبور

لقد غلبت اللغة الخطابية على مستوى النص السابق، فجاءت بلغة أبرزت البعد العسكري للتحصينات التي استخدمها الجند لحماية بلد «**العوابي**» من العدو، ذلك التعاون الذي تبناه الجند وأهالي الولاية جعل البلدفي مأمن من مغبة الهجوم، والسيطرة عليه.

لقد أضفت الصورة السابقة بعدا جديدا في لغة المعركة، فأصبحت القلاع والحصون أمرا مهما في حماية الثغر، وهذا الأمر كان شائعا أيام الحروب الصليبية، فصلاح الدين الأيوبي كان يستخدم القلاع في قضايا أمنية مهمة منها: المراقبة للعدو، ومنها قذفه بالمدافع من بعد، وأمور تتعلق بأمن الوطن والمواطن، وهذا ما استخدمته الدولة اليعربية كنوع من أنواع السلاح ضد خصمها.

المبحث الرابع:
الأبعاد الزمانية والمكانية ودلالتها

يناقش هذا المبحث «الثغر» وهو موضع المخافة من فروج البلدان[1]، وتعد هذه الأماكن ذوات بعد استراتيجي؛ لكونها مواضع تتبع الدولة، وتطل على أماكن العدو، أو في الطريق إليها، أو من خلالها يُؤتى الوطن والإسلام. لذلك ركزت الدولة الإسلامية على هذه المواقع وأعطتها أهمية كبرى في السيطرة عليها وأن تكون تحت لوائها.

ولأهمية الثغور؛ خاصة أيام الحرب، فقد اهتمت الدولة الإسلامية أيام الخليفة عمر بن الخطاب بالثغور والدروب؛ تأمينا لهم من الدولة الرومانية التي استمر الصراع معها طويلا، حتى تطهير الشام وما بعده منها، ولذلك اهتم الباحثون بدراسة هذا الجانب في أبحاث ناقشت الأبعاد الاستراتيجية لهذه الثغور على الدولة، ومن هذه الكتب:

---

(١) مادة «ثغر» ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت.

«الثغور البرية الإسلامية»[1]، وكتاب «المسلمون وجهادهم ضد الروم»[2].

فالدولة الإسلامية في عمان زمن حكم اليعاربة، كانت نظرتهم ثاقبة في هذا الجانب؛ لذلك سعت الدولة منذ عهد الإمام ناصر بن مرشد في تأمين الثغور من الداخل والخارج حفاظا على أمن الوطن العماني من أي معتد، فبعدما طردوا المستعمر البرتغالي من المحيط العماني، واصلوا ملاحقة هذا العدو الغاشم حتى قعر داره؛ مطهرين أدناسه من الشرق الأفريقي.

وقد سجل الأدب العربي في عمان تلك الوقائع، مخلدين ما رسمه القادة من هزائم متتالية لعدوهم، وفتح مؤزر لتلك الأماكن الاستراتيجية التي جعلت الأمة الأسلامية في الخليج، والشرق الأفريقي تعيش آمنة مستقرة بفعل تلك الفتوحات المنصورة.

وممن تغنوا بتلك الانتصارات ابن سنان الغافري في مقطوعته التي يقول فيها[3]: مادحا الإمام وجنده في فتح «بتة»[4]، وأخذها من يد المستعمر.

---

(١) الجنزوري، علية عبد السميع. الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البزنطينية في العصور الوسطى، مطابع سجل العرب القاهرة، ١٩٧٩.

(٢) باب، صابر محمد. المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية، ١٩٨٤.

(٣) إيقاظ الوسنان، ص٧٩ ـ ٨٠ انظر الملحق رقم ٦.

(٤) «بتة» بلد تقع في الشرق الأفريقي.

هو الصبر مقرون به العز والنصر
فصيره خلقا لايزيله الدهر
فكم صدمة ماللفتى قبل بها
تولت جهارا حين قابلها الصبر
ألم تعلمن صنع الشراة «ببتة»
وهم مائة مع نيف عدد نزر
أتوها وفيها من جنود أولي العمى
ألوف بأيديها المهندة البتر
وقد ملكوها واستباحوا حريمها
وصار لهم في أهلها النهي والأمر
ومن دونهم أسوارها وبروجها
وقطفيّةٌ خضر وخيطّةٌ سُمر
أتوها ضحى والعين تنظر أختها
يؤمهم فتح ويتبعهم نصر
فما ردهم عن أن يجوسوا خلالها
لقاء ألوف كان ألفها الكفر
بلى دخلوها عنوة جهرية
ويجر الردى من كل ناحية غمر
وأبدوا بها صبر الكرام وكابدوا
أمورا صعابا طعمها مقر مر
فأجلوهم منها فولوا كأنهم
حمير عدافي أثرها جحفل مجر

وكـم لـيـل بـؤس مـد لـهـم ظـلامـه
جـلاه لـهـم صـبـح وأوضـحـه فـجـر
فـحـازوا ثـنـاء لـيـس يـبـلـى جـديـده
وغـنـمـا عـلـى أمـثـاله يـجـب الـشـكـر
وشـادوا لـديـن الـمـسـلـمـيـن بـصـنـعـهـم
مـعـاقـل صـيـت دونـهـا الـغـفـر والـنـسـر
بـعـزمـة مـلـك لـيـس يـقـلـق قـلـبـه
عـظـيـم ولا يـومـا يـقـلـقـه ذعـر
إمـام الـهـدى سـلـطـان سـيـف بـن مـالـك
مـليـك لـه دون الـورى الـمـجـد والـفـخـر
فـعـيـشـوا شـراة الـمـسـلـمـيـن بـمـفـخـر
يـزيـد اشـتـهـارا زايـدا إن مـضـى شـهـر
بـدولـة مـن حـاط الـثـغـور بـسـيـفـه
فـلـم يـخـل مـن حـمـد لـه مـن لـه ثـغـر
ومـن عـدلـه نـور عـلـى الـخـلـق مـسـفـر
يـضـاء بـه أهـل الإقـامـة والـسـفـر
ومـن هـو لـيـث يـحـذر الـلـيـث بـطـشـه
وبـحـر بـأدنـى فـيـضـه يـغـرق الـبـحـر

كما سبقت الإشارة بأن النص السابق جاء مخلدا لتاريخ عظيم، صنعته أيادي طاهرة، همها مصلحة الوطن، والذود عن حرمته الدينية والوطنية. فمقدمة النص:

ـ هو الصبر مقرون به العز والنصر

فصيره خلقا لايزيله الدهر

ـ فكم صدمة ما للفتى قبل بها

تولت جهارا حين قابلها الصبر

أعطت المتلقي قراءة استباقية، إذ استهللها بالجملة الاسمية المصدرة بضمير الفصل، المتضمن معنى «التحمل والمشقة» وختمها بنفس المفردة «الصبر» وكأنه يريد القول، فلولاه لما تحقق لهم ذلك النصر والعز. وتعد هذه الإشارة رسالة قوية للمتلقي ـ المجاهد ـ ؛ لكونها الأداة الفعّالة لتحقيق النصر، إذ المعارك تحتاج إلى حنكة مع الصبر، فالمعارك لا يتحقق فيها النصر بمجرد الحماسة والصبر بدون تخطيط واستراتيجية، وهذا ما أكده الخبراء العسكريون عند خوضهم المعارك، فخالد بن الوليد في معاركه دائماً يتأكد من المخرج قبل المدخل، وذلك دليل للحنكة العسكرية التي أهلته ليكون منتصراً دائماً على عدوه.

هذا النص حاول بلورة صورة الانتصار بلغة تصورية مباشرة، غلبت عليها اللغة الخطابية المباشرة، وهذا ما يسعى إليه النص في هذا الظرف، إذ الصورة الحربية المتجسدة من جراء تلك المفردات غايتها غرس الروح المعنوية الإيجابية في ذاتية المجاهد والمنتصر، كما أنها في نفس الزمن تسعى هذا الصورة لإيصال رسالة للمتلقي الآخر ـ الخصم ـ .

إن المعارك التي خاضها المسلون لم تكن لسفك الدماء والإرهاب

كما يظن أهل الجهالة، أو كما ينشر المغرضون عن الإسلام ذلك؛ بل نزولهم لمعمعة القتال يكون نهاية المطاف بعد الإنذار والتوجيه للمعتدي الغاشم.

إن النص الذي بين أيدينا يضعنا أمام صورة حقيقة للأسباب التي أوجبت على الإمام وجنده من النزول لساحة المعركة.

ألم تعلمن صنع الشراة «ببتة»
وهم مائة مع نيف عدد نزر
أتوها وفيها من جنود أولى العمى
ألوف بأيديها المهندة البتر
وقد ملكوها واستباحوا حريمها
وصار لهم في أهلها النهى والأمر

فاستباحة العرض وهتك الحرمات أوجبت مقاتلة هؤلاء المعتدين؛ الذين لم يمنعهم شيء من التعدي على الحرمة الإسلامية، والأمر والنهي، والسيطرة، والغطرسة؛ لذلك وجدوا أمامهم هؤلاء الأشبال الذين جسدوا روح التضحية بكل معانيها، بدأ بالعزيمة والتخطيط السليم، وختاما بالنصر والشهادة، اللذَين تحققا لهم من ذلك الصراع العقدي للدين والوطن، فما كان لعدوهم إلا أن يعود القهقرى منهزماً ذليلاً بائساً، إذ المسلم تسيطر عليه روح الدافعية الممزوجة بحب الاستشهاد، وتحقيق النصر، بينما الكافر تهيمن عليه الرغبة الدنيوية؛ مما يجعله يفر خائفا لملاحقة شهواته التي من أجلها قاتل واستعمر.

وهنا نجد البناء التركيبي للجمل سيطرت عليها الجملة الدالة على

الزمن بلغة الجمع، وذلك يدلل بأن المجاهدين يجمعهم هم واحد، ويقاتلون صفا واحدا متآزرين، كأنهم بنيان مرصوص:

أتوها ضحى والعين تنظر أختها
يؤمهم فتح ويتبعهم نصر
فما ردهم عن ان يجوسوا خلالها
لقاء ألوف كان ألفها الكفر
بلى دخلوها عنوة جهرية
ويجر الردى من كل ناحية غمر
وأبدوا بها صبر الكرام وكابدوا
أمورا صعابا طعمها مقر مر
فأجلوهم منها فولوا كأنهم
حمير عدا في أثرها جحفل مجر

إن ذلك النصر والتمكين لم يكن اعتباطيا، بل جاء ضمن قيادة مُخططة، من لدن إمام الدولة العمانية الذي كان يشرف على تلك المعارك ويتابعها عن كثب؛ بل كان يتوسط بعض المعارك بنفسه، وذلك مما يعطي لغة الدافعية للجند، ويعكس فيهم روح البذل والعطاء وقد تمثلت هذه الصورة الجميلة للمتلقي من خلال قوله:

وشادوا لدين المسلمين بصنعهم
معاقل صيت دونها الغفر والنسر
بعزمة ملك ليس يقلق قلبه
عظيم ولا يوما يقلقه ذعر

إمام الهدى سلطان سيف بن مالك

مليك له دون الورى المجد والفخر

فعيشوا شراة المسلمين بمفخر

يزيد اشتهارا زايدا إن مضى شهر

بدولة من حاط الثغور بسيفه

فلم يخل من حمد له من له ثغر

ومن عدله نور على الخلق مسفر

يضاء به أهل الإقامة والسفر

ومن هو ليث يحذر الليث بطشه

وبحر بأدنى فيضه يغرق البحر

فالصورة لم تسقط لغة النصر التي حققها الجند بطاعتهم لخطة قائدهم؛ بل الصورة اكتملت بذلك التعاون، إذ لا يمكن تحقق النصر بالجند دون القائد، وكذلك لا يمكن تحقيق النصر من لدن القائد بدون جنده، وهذا ما جسدته مفردات النص ببعده الاكتنازي.

لم تتوقف الصورة عند نهاية النصر، فهناك من ينتظر التعزيز، وهناك من استنجد وينتظر النجدة، فليس هذا النصر نهاية وراءها دعة وراحة، فالمسلم يضحي مجاهدا حتى يلقى الله، أو يكون لهم التمكين في الأرض، ولذلك تواصلت اللغة الدلالية للنص في استمرارية المآزرة للحق، وهو ما صنعته لغة الإنشاء الطلبي من قوله:

«**فعيشوا شراة المسلمين بمفخر، يزيد اشتهارا زايدا إن مضى**

شهر» وهنا نجد أنفسنا مع صورة لم تنته، بل تواصلت لتكتمل في لقاء جهادي آخر ومعركة جديدة ضد الباطل.

لقد تواصلت جهود الأئمة ـ رحمهم الله ـ في تأمين الثغور، ورد المعتدي منهزما منكسراً، وهو ما تحقق لهذه الدولة إبان توحدها وقوتها، إذ تواصلت فتوحاتهم إلى شرق أفريقيا، فحاصروا ممباسا زمناً طويلاً، قارب الخمس سنوات، حتى سقطت في أيديهم، وبذلك اندحر البرتغاليون من الشرق الأفريقي، فكانت تلك الانتصارات وسام عز ومجد في جبين الدهر، صنعته إمامة عمان زمن اليعاربة وغيرهم؛ ذلك مما أشعل جذوة الانتشاء بالنصر عند القريب والبعيد، فتسارعت النصوص الشعرية في تجسيد تلك الأحداث بلغة واصفة لتلك المنجزات، ومن الذين سجلوا تلك الوقائع ـ بلغة سيطرت عليها اللغة المدحية لأرباب القيادة التي كانوا سببا في اندحار ذلك المستعمر ـ الفزاري عندما قال في مطلعها[1]:

هـذا هـو الـفـتـح الـمـبـيـن الأنـور

هـذا هـو الـنـصـر الـعـزيـز الأكـبـر

هـذا هـو الـظـفـر الـجـلـيـل الأفـخـر

هـذا هـو الـصـيـت الـجـمـيـل الأشـهـر

لقد سجلت المقدمة لغة الحضور القريبة، مشيرة لهذا النصر:

(١) ديوان الفزاري، ص١٨٢.

هـذا هـو الـفـتـح الـمـبـيـن الأنـور

هـذا هـو الـنـصـر الـعـزيـز الأكـبـر

هـذا هـو الـظـفـر الـجـلـيـل الأفـخـر

هـذا هـو الـصـيـت الـجـمـيـل الأشـهـر

هذا التوازي الصوتي على مستوييه الأفقي والعمودي، خلق توتراً دلالياً، موحياً بنشوة النصر، إذ تكرار اسم الإشارة «هذا» والضمير المنفصل «هو» يؤكد حجم الفرح الذي تحقق، كما أن الصفات المتبوعة لموصوفها جاءت بصيغ متجددة لذلك الحدث: «**الأنور، الأكبر، الأفخر، الأشهر**»، فالنص يخبر بفرحة عارمة، تحققت بعد طول انتظار، ومعاناة وألم.

والـحـمـد لله الـذي نـصـر الـهـدى

بـإمـام صـدق فـضـلـه لا يـنـكـر

بـعـث الـجـيـوش إلـى الـنـصـارى غـازيـاً

دوراً لـهـم بـالـكـفـر كـانـت تـعـمـر

دوراً حـمـوهـا بـالـظُـبـي وتـوهـمـوا

أن لـيـس يـدخـلـهـا عـلـيـهـم عـسـكـر

قـد حـصـنـوا أكـواتـهـا بـمـدافـع

نـيـرانـهـا فـي كـل عـام تـسـعـر

وسـرادق يـبـنـونـه مـن حـولـه

وخـنـادق مـن تـحـت ذلـك تـحـفـر

وصـــوارم هـــنـــديـــة ولـــهـــازم

خـطّـيـة بـأكـفّ أسـد تـزأر[1]

النص يفرز متتالياته الفكرية، راسما الوضع الاستراتيجي الذي كان ينتهجه العدو في تحصين نفسه من أي خصم، وذلك متمثل في الخنادق، والسرادق، والأكوات، والأسلحة المخزنة بأنواعها المختلفة، إلا أن تلك الاستعدادات لم تكن شيئاً يذكر مقابل قوة الإمام التي استطاعت اختراق تلك الحواجز، بفعل القوة الإيمانية والإصرار والتخطيط السليم:

فـأتـاهـم جـيـش الإمـام كـأنـه

سـيـلٌ أبـيٌ بـالـردى يـتـحـدر

حـملـتـهـم في البـحـر خـيـل سـفـائـن

مـن دونـهـا الـخـيـل الـجـيـاد الـضـمـر

حـتـى أتـوا مـمـبـاسـة فـثـووا بـهـا

كـالأسـد تـمشي في السـلاح وتكـسـر

صـعـدوا إلـيـهـم بـعـد طـول حـصـارهـم

بـسـلالـم كـادت تـهـي وتـكـسـر

لـكـنـمـا الـرحـمـن أيـد حـزبـه

والـلـه يـخـذل مـن يـشـاء ويـنـصـر

---

(١) ديوان الفزاري، ص١٨٢.

فتقحمّ الأسد الشراة عليهم

أسوارهم وقت الضحى وتسوروا[1]

لقد جسدت لغة النص في ذاتية المتلقي صورا عدة كانت سببا في تلك الهزيمة للعدو، **وأولها «فأتاهم جيش الإمام كأنه سيلٌ أبيّ بالردى يتحدر»** فالتشبيه أعطانا قراءة أحالتنا بأن الجيش كان كثيفا وقويا؛ مما تعذر على المقاوم التصدي له، وبذلك ولى مهزوما مندحرا. **وثانيها: «حملتهم في البحر خيل سفائن من دونها الخيل الجياد الضمر»** تلك اللغة بسيميائيتها أحالت المتلقي إلى قراءة جديدة، خرجت عن بعدها السطحي، إذ بعدها يوحي بأن جيش الإمام له امتداد بين البر والبحر، وذلك إشارة للقوة التي تحيط به، كما أن تلك إشارة سلبية للعدو، تجعله في قلق وخوف دائمين. **وثالثها: «حتى أتوا ممباسة فثووا بها، كالأسد تمشي في السلاح وتكسر، صعدوا إليهم بعد طول حصارهم، بسلالم كادت تهي وتكسر»** فالصورة تقرأ النفوس المتعطشة لتحقيق ذلك النصر الذي مكثوا فيه زمنا غير قصير، فجاءت صورة النص راسمة أولئك الجند الذين رابطوا منتظرين الفرج، فتخطوا تلك الحواجز راسمين لوحات النصر والعزة، غير آبهين بالموت وما ينتظرهم من مفاجآت.

لقد خلق النص صورة الهزيمة في صفوف العدو من خلال تصويرهم بصفات عكسية، لم تكن لصيقة بهم من قبل؛ بل جاءت

---

(١) ديوان الفزاري، ص١٨٢ - ١٨٣.

نتيجة القوة المضادة من قبل الفاتح الإسلامي الذي كان يملك البعد التخطيطي للمعركة، وما يتطلب ذلك من عزيمة وإيمان بنهاية المعركة.

لذلك انقلبت الموازين في صفوف العدو؛ مما جعل النص يرسل للمتلقي صورة بائسة عن المهزوم، تبكيتا وسخرية به، وتعد تلك إشارة ضمنية للعدو توحي له بعدم الاقتراب من ساحة المسلمين الفاتحين:

فإذا العُقاب من النصارى بلبلٌ
والضغيم الضّاري هنالك جؤذر[1]

(١) المرجع السابق، ص١٨٣.

الفصل الثاني:

البعد النفسي ودلالته في شعر الحرب

فرضت الحرب النفسية نفسها على البشرية منذ أقدم العصور، وتبلورت أهميتها ودورها في الحرب العالمية الأولى والثانية وما بعدهما، لهذا كان موضوع الحرب النفسية من أخطر موضوعات الساعة[1]. فالحرب النفسية لم تكن وليدة اليوم، بل قديمة قدم الإنسان إلا أنها لم تكن تحمل هذا المصطلح، وقد استخدمها رجال السياسة والحرب والموجهون الدينيون ضد خصومهم في الداخل والخارج على السواء، لما تحمله هذ الأقوال والأفعال من آثار تدفع الإنسان وتحركه[2]. «فالحرب النفسية في مستواها التكتيكي، تعني الصدام المباشر مع العدو، وتوجه عادة ضد جيوش العدو في ميدان القتال أو في قواعده أو ضد رعاياه الموجودين في منطقة القتال، وتستهدف العمليات النفسية في هذه الحالة إضعاف مقاومة قوات

---

(١) حجاب، محمد منير. الحرب النفسية، دار الفجر للنشر القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص٥.

(٢) نوفل، أحمد. الحرب النفسية، ج١، دار الفرقان، الأردن ط٢ ١٩٨٥، ص١١١.

العدو أو مطالبة الشعب بالتعاون مع القوات المسلحة المتقدمة ووضع العدو في حالة نفسية هي حالة الهزيمة والاستسلام»[1]. وفي هذا السياق يعد الأدب العربي أداة فعالة في نقل الوقائع والأحداث بصورة تجسد الأحداث؛ بل غالبا ما تعطيها تصويرا أبلغ وأعمق؛ مما يجعل تلك الصورة تتجلى للمتلقي وكأنها ماثلة بين عينيه. هذ الصورة التي جسدتها القصيدة لم تكن وليدة اليوم؛ بل لها تاريخ طويل «فأقدم النصوص والشواهد المتوافرة حاليا عند استعمال الحرب النفسية في العراق القديم، تعود إلى ما قبل خمسة آلاف عام تقريبا، إذ يرد ذلك في لوح مسماري كتب باللغة السومرية ويتضمن كما يقول (صموئيل كريمر) في كتابه (من ألواح سومر) قصيدة تدون لنا حادثة سياسية تنطوي على استعمال الأساليب السياسية من أجل الغلبة والقوة التي يتبعها أهل عصرنا ويومنا الراهن»[2].

(١) سميسم، حميدة. الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص٤٤.

(٢) الحرب النفسية سميسم، ص٢٦.

المبحث الأول:

صورة الحرب النفسية الاستعراضية

هذا النوع من الحرب النفسية يهدف لتخويف النفوس من الحرب القادمة، إذ الهدف منه إشعار الأعداء بضخامة الجيوش وعدتها وعتادها[1].

وقد استثمر الأدباء كلمتهم في بث مفردات الرعب للعدو من خلال تصوير القائد بأنه يملك شخصية قيادية لا تهزم، وجندا باعوا أرواحهم هبة للإسلام، وقدرات تخطيطية يستطيعوا بها تحطيم القوات المضادة مهما كانت قوتها. هذا ما رسمته مفردات النص الشعري عند شعراء دولة اليعاربة، عندما وصفوا الجيش وقدراته قبل الهجوم على العدو وما صنعه من معجزات في الماضي.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٨.

أولاً: أنموذج الغشري[1]:

الله أكبر كم عاينت من عجب
ما لا يرى الناس في ماض من الحقب

إني أرى المعز تصطاد الأسود معا
وطال هذا الحصى فخرا على الذهب

أرى الأنام سكارى في مصيبتهم
كادوا فلم يعرفوا شعبان من رجب

الله يعلم إن الشر موقعه
بساحل البحر حتى الوعر في نصب

والخوف ليس ينال الشر حوزته
إلا المخافة عمت جملة العرب

قل للأعاجم أن ينجوا بأنفسهم
من قبل قتل وهتك قاصم الركب

فإن سعدهم ولى وإن قربت
سعود أهل عمان غير منقلب

لعل حتفهم بالحث شاقهم
كم قد يساق إلى الجزار من جلب

وبعد بضع سنين تسمعن بما
يجري بدارهم سبيّ ومن خرب

---

(١) ديوان الغشري، ص٥٦ ـ ٥٧، انظر الملحق رقم ٧١.

لـنـسـمـعـن وشـيـكـا فـي ديـارهـم
للسيف فيها حنين الريح في السحب
وذاك مـن خـلافـات سـتـمـحـقـهـم
مـحـقـا وذلـكـم مـن أقـبـح الـسـبـب
وسـوف يـجـنـون حـصـدا مـالـه غـرسـوا
بـأرض عـمـان مـأكـل الـعـطـب
مـن أجـل تـقـتـيـل أطـفـال وشـيـبـهـم
والـمـحـصـنـات وقـتـل الـسـادة الـنـجـب

رسمت المفردات النصية صورة العدو وهمجيته في الهجوم على ممالك الإسلام؛ طمعا في أخذ ثرواته والنيل منه، وجعله تحت سيطرته، وما أثاره المستعمر من انتهاك لحرمة الإسلام والوطن، وزرعه للخوف بين أبناء الوطن:

الـلـه يـعـلـم إن الـشـر مـوقـعـه
بساحل البحر حتى الوعر في نصب
والـخـوف لـيـس يـنـال الـشـر حـوزتـه
إلا الـمـخـافـة عـمـت جـمـلـة الـعـرب

المفردات النصية السابقة، ألقت بظلها القرائي في ذاتية المتلقي عن الأفعال الشنيعة التي يمارسها العدو؛ فكانت شرارة أوقدت مشاعر أهل الوطن؛ ذادوا عن حياض عزتهم ومجدهم، إلا أن البعد الإسلامي في هذا الشأن تجلّت فيه روح الخطاب المتأدب بالأخلاق الرفيعة، فممارسة القتال ضد العدو يسبقها لغة إنذارية. وهذا ما بثه

النص في آذان الخصم، إلا أن اللغة الخطابية كانت ذات نبرة تعالت لغتها التهديدية ضد العدو الغاشم، وما عليه إلا أن يولي مسرعا عن ممالك الإسلام، وإلا فلا ساعة مندم:

قل للأعاجم أن ينجوا بأنفسهم
من قبل قتل وهتك قاصم الركب

فصيغة الأمر «**قل**» التي حملت لغة تجريدية زرعت الرعب في العدو الذي تلقّى هذه الرسالة التحذيرية، مفادها ترك المكان قبل أن يحل عليكم القتل والهتك «**من قبل قتل وهتك قاصم الركب**» لم تتوقف الرسالة عند ذلك؛ بل واصلت لتزرع فيهم الذعر والقلق «**فإن سعدهم ولى**» فلا سعادة بعد هذا الحدث، وأنتم من سقتم أنفسكم للحتف. كما أن اللغة الحركية في النص كانت بين مد وجزر، غايتها إقلاق العدو، وجعله يعيش خائفا قلقا لا يهنأ بساعة من عمره؛ مما يجعله بعيدا كل البعد عن الثغور الإسلامية، ولذلك جاءت رسالة المجاهدين تقول لهم:

- وبعد بضع سنين تسمعن بما
يجري بدارهم سبيٌ ومن خرب

- لنسمعن وشيكا في ديارهم
للسيف فيها حنين الريح في السحب

فالتهديد والوعيد من الأساليب العسكرية الشائعة لإرباك الخصم

وشل إرادته، وشغله بالتدبر في أمر ما ينتظره من مستقبل قاتم مظلم[1].

هذا المعنى بلورته المفردات النصية التي جعلت من المتلقي يبقى في حالة خوف من الأيام القادمة المجهولة؛ خاصة الرسالة التي وصلتهم جاءت من خصم يمتلك إرادة قوية، وصوته الآمر الناهي يتردد صداه في كل مكان. وهذا ما أفرزته مفردة «**لنسمعن**».

تلك النبرة الخطابية التي أحيطت بمفردات تهديدية زرعت الخوف؛ مما خلقت في نفوس قادة العدو الخلاف والشقاق، فأردتهم في وحل الشتات والتمزق، فكانت نتيجة خسرانهم الاستقرار.

هذا وذاك من خلافات ستمحقهم
محقا وذلكم من أقبح السبب

إن الأفعال المشينة تزرع روح الخوف، وتفقد الحياة الساكنة المطمئنة، وهذا ما اكتسبه الخصم نتيجة فعله الذميم، فقد استخدم الباث لغة التحذير المنذرة بذلك الوبال، فقال:

وسوف يجنون حصدا ماله غرسوا
بأرض عمان مأكل العطب
من أجل تقتيل أطفال وشيبهم
والمحصنات وقتل السادة النجب

إن تلك الرسالة الشعرية كان لها من القوة بمكان في نفسية

---

(١) الحرب النفسية، محمد حجاب، ص١٤٧.

المتلقي ـ العدو ـ لذلك فالحرب النفسية بلغة الكلمة استثمرها القادة العسكريون؛ لكونها تعد عاملا مساعدا في دحر قوة المعتدي، وزلزلة كيانه العسكري.

إن الحرب الإعلامية بأنواعها؛ لكفيلة بتدمير أمم وشعوب؛ لكونها تقوم بالدعاية «بوصفها سلاحا من أسلحة الحرب النفسية موجودة في أقدم دليل عمل للاستراتيجية العسكرية، إذ يؤكد المفكر الصيني (صن تزو) في القرن الخامس قبل الميلاد، في كتابه (الحرب) أهمية تدمير إرادة العدو وتجنب الصراع حتى النهاية المريرة، والعمل على تحقيق النصر بأقل تكلفة، ولذلك أوصى في حالة القتال ليلاً باستعمال الأبواق والطبول على نطاق واسع، أما في حالة القتال نهارا فيجب رفع كبير من اللافتات والأعلام؛ كي تبهر عيون العدو وسمعه، وأشار إلى استعمال ما يسمى اليوم باستراتيجية الرعب، بنشر قصص الخداع والتحدث عن قوة الطاغية لتحقيق نفس الهدف»[1].

(١) رشي، جيهان. الإعلام واستعمال الراديو في الحرب النفسية، دار التوفيق للطباعة القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٧٩.

ثانياً: أنموذج الفزاري[1]:

نـصـرٌ مـن الله الـعـزيـز لـعـبـده
سيف بن سلطان الكريم ومفخر
يـا مـعـشـر الإفـرنـج كـم مـن قـلـعـة
لـكـم تُـقـرّط بـالـظُـبـى وتـسـور
صـال الإمـام عـلـيـكـم فـابـتـزهـا
مـنـكـم وأعـيـنـكـم إلـيـهـا تـنـظـر
لـم يـحـتـكـم مـنـه حـسـام أبـيـض
يـومـاً ولا رمـح هـنـالـك أسـمـر
إن الـضـلال جـنـوده مـخـذولـة
والـحـق مـنـصـور الـجـنـود مـظـفـر
ذقـتـم بـيـوم «الـديـو» أدواء الـردى
وبـيـوم «بـتـة» بـتّ مـنـكـم أكـثـر
ولـقـيـتـم مـن بـأس سـيـدكـم فـتـى
سـلـطـان فـي «مـمـبـاسـة» مـا يـبـهـر
قـد أُهـدرت بـالـمـرهـفـات دمـاؤكـم
وغـدت فـحـول الـحـرب فـيـكـم تـهـدر
ولـسـوف يـغـزوكـم بـقـوم كـهـلـهـم
وغـلامـهـم شـهـم الـجـنـان غـضـنـفـر

---

(١) ديوان الفزاري، ص١٨٣.

إن الإمـام عـلـى الـعـداء مـسـلـط
بـعـضـاً يـقـتـلـهـم وبـعـضـاً يـأسـر
لا زلـت يـا سـيـف بـن سـلـطـان لـنـا
كـهـفـاً نـلـوذ بـه وعـيـنـاً تـبـصـر
الـلـه يـكـفـيـك الـعـدو وكـيـده
ويـقـيـك مـوقـع مـا تـخـاف وتـحـذر
مـغـنـاك مـعـمـور وحـظـك وافـر
وعـلاك بـاقـيـة وأنـت مـعـمـر

فالنص أفرز مجموعة من الصور، تلقّاها العدو بغاية من الدهشة والحذر؛ لكونها في سياق عرض ما تحقق لهذا الإمام القائد من انتصارات، مستخدما أسلوب النداء التهكمي، بلغة خبرية أفادت الكثرة من مثل تلك الفتوحات:

«يـا مـعـشـر الإفـرنـج كـم مـن قـلـعـة
لـكـم تُـقـرّط بـالـظُـبـى وتـسـور»

كما أن الصورة التي أبرزها النص في وصف المعركة، التي تحكي لنا قصص السيطرة على القلاع والحصون بلغة سردية رائعة؛ لكفيلة إعطاء الخصم درساً قاسياً لا يمكن تناسيه أبداً، فالخصم أصيب بالخمول والخوف أثناء اقتحام القلعة، لما رأى من شخوص مدرعة بالعتاد العسكري متساندة إلى بعضها في الهجمة الواحدة.

إن الموجات الصوتية المرسلة لردع المعتدي، وتخوفيه من النزول للمعركة، جاءت تحكي سير الفتوحات الماضية، والتي دُحر فيها

العدو فولى متقهقرا، في سياق «**إنا نحن أولوا قوة وألوا بطش للمعتدين**» وهي صيغة ساقها القرآن الكريم في معرض جواب قوم ملكة سبأ عندما أخبرتهم بكتاب النبي سليمان عليه السلام ﴿**قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[1].

ذقتم بيوم «الديو» أدواء الردى
وبيوم «بتة» بتّ منكم أكثر
ولقيتم من بأس سيدكم فتى
سلطان في «ممباسة» ما يبهر
قد أهدرت بالمرهفات دماؤكم
وغدت فحول الحرب فيكم تهدر
ولسوف يغزوكم بقوم كهلهم
وغلامهم شهم الجنان غضنفر

هذه الإشارات بأسلوبها التهديدي الدال للمستقبل «ولسوف يغزوكم بقوم كهلهم وغلامهم» خلخلت التوازن العسكري، وجعلت قواه تنهار، وتتراجع. فلغة الكلمة فعلت أفاعيل كامنة، شاركت وبقوة في نصر الإمام قبل قدومه إليهم، مما سهل عليه دحرهم وهزيمتهم.

النصوص الشعرية التي رصدتها المدونة العمانية في زمن فتوحات اليعاربة، تتقارب أبعادها الدلالية، وتتساوق مفرداتها الدالة في رصد الأحداث السابقة؛ لإيصال رسالتها للمتلقي؛ لكونها جميعا متحملة أمانة المشاركة في تحطيم قوى العدو وعتاده.

---

(١) سورة النمل آية، ٣٣.

ثالثاً: أنموذج الغافري:

ومن تلك النماذج ما قاله ابن سنان الغافري، في معرض التهديد للعدو، وإلقاء لغة التبكيت عليهم، والذي حلّ بهم كان نتيجة مخالفتهم، فهذا النص لا يختلف عن مثيلاته السابقة، سوى ما أبرزه من أحداث العهود والمواثيق التي سارع الخصم لنقضها، فما كان من السيد الإمام إلا القيام بتأديبهم، وفي ذلك يقول[1]:

ذوقوا بني الأصفر العاصين حرب فتى
ما إن خلا رجب منها ولا صفر
بقرتم بطن عياكم بنقضكم
ميثاق سيدكم يأيها البقر
فصرتم قَصصَ السُمّار في سمر
وشاع عن خبر ما أذللتم الخبر
أسلمتم كل خرعوب يحار بها
طرف الفتى زان منها الناظر الحور
رعبوبة تسحر الألباب نفحتها
إذا تهادت فأهدى نشرها السحر
وكل طفل وليد قلب والده
عليه من طفل الديجور ينفطر

(١) إيقاظ الوسنان، ص٨١ ـ ٨٢ انظر الملحق رقم ٧.

ولـو صـبـرتـم عـلـى إبـرام عـهـدكـم
لـكـنـمـا الـصـبـر مـرٌ طـعـمـه صَبِرُ
يـا واتـر الـحُـرِّ لا تـأمـن حـيـاتـك أن
يـرمـيـك مـنـه بـسـهـم قـاتـل وتـر
ولـم يـفـكـر بـعـقـل فـي عـواقـبـه
حـارت لـوقـع بـلايـا دهـره الـفـكـر
إن ابـن سـيـف مـتـى أسـرت سـريـتـه
آبـت يـلـوح عـلـى أظـفـارهـا الـظـفـر
وإن أغـار عـلـى أهـل الـغـرور بـدت
لـلـفـتـح والـنـصـر فـى أنـصـاره غـرر
ذرى الـعـداة بـريـح مـن عـزائـمـه
مـا قـط تـبـقـى عـلـى شـيء ولا تـذر
أبـر فـي ذلـهـم ذو الـعـرش حـلـفـتـه
فـثـوبـهـم لـيـس تـرفـوا خـرقـه الإبـر
مـلـك عـظـيـم جـلـيـل الـقـدر نـاصـره
مـلائـك الله والأسـيـاف والـقـدر
مـخـاطـر غـيـر هـيـاب ولا وكِـل
فـي كـل أمـر لـه بـيـن الـورى خـطـر
صـعـب عـريـكـتـه فـي كـل مـعـتـرك
وقـد تـطـايـر مـن نـار الـوغـى الـشـرر
إن أورد الـرمـح يـومـا فـي وريـد فـتـى
فـصـدرُ آخـر رمـاح لـهـا صـدر

بـوركـت مـن سـيـد زادت بـه شـرفـا

أصـحـابـه شـرفـاء الـقـدر واشـتـهـروا

فـمـا عـمـان عـمـان قـبـل مـنـظـره

ونـجـل مـرشـد إن قـاسـوا وإن نـظـروا

إن نقض العهود هي إشارة لبداية الحرب، وذلك ما أشارت إليه القصيدة من خلال المفردات التي احتوتها فضائية النص، فالتهديد للعدو متجل من المفردة الأولى «**ذوقوا بني الأصفر**» والتي جاءت بصيغة الأمر، متبوعة بصيغة الماضي، تلك اللغة التصورية أحالت المفردات إلى لغات تفسيرية، أنبأت عن أخلاق وسلوك هذا الخائن، الذي لم يلتزم بعهد ولا ميثاق، فاستحق هذه اللغة الصارمة، عسى يستفيد منها في أيامه القادمة:

بـقـرتـم بـطـن عـلـيـاكـم بـنـقـضـكـم

مـيـثـاق سـيـدكـم يـاأيُـهـا الـبـقـر

تلك الأفاعيل الشرسة والمشينة، والتي يحاكم عليها القانون الدولي، من خلال الاعتداء على النساء المسالمات والأطفال الرضع، لحري بتوقيفكم عند الحد الذي يجب أن يقوم به إمام المصر:

أسـلـمـتـم كـل خـرعـوب يـحـار بـهـا

طـرف الـفـتـى زان مـنـهـا الـنـاظـر الـحـور

رعـبـوبـة تـسـحـر الألـبـاب نـفـحـتـهـا

إذا تـهـادت فـأهـدى نـشـرهـا الـسـحـر

وكـل طـفـل ولـيـد قـلـب والـده

عـلـيـه مـن طـفـل الـديـجـور يـنـفـطـر

إن اللغة الخطابية المتلقّاة حاكمت العدو بأسلوبها ونبرتها، وحاورته بلغة إقناعية، جعلته يسلم الراية قبل النزول للمقارعة:

ولـو صـبـرتـم عـلـى إبـرام عـهـدكـم

لـكـنـمـا الـصـبـر مـرٌ طـعـمـه صَـبِـرُ

إذ تعجلهم، وعدم صبرهم سيودي بهم إلى هاوية سحيقة لا مفر منها. إن تلك المفردات النصية أرسلت إشارات إيمائية تلوح بالانتقام عاجلا غير آجل:

يـا واتـر الـحُـرّ لا تـأمـن حـيـاتـك أن

يـرمـيـك مـنـه بـسـهـم قـاتـل وتـر

فإهانة الكريم ثمنها باهض، ذلك ما بلّغته مفردات النداء «**يا واتر الحر**» والتي تقول للمعتدي بأن حياتك أهلكتها بنفسك، فالحر سيقتص منك، وذلك باستلاب حياتك كاملة، ذلك ما أفادته «**يرميك بسهم قاتل وتر**» إن لغة النص توحي للمتلقي عبر قنواتها الدلالية بترقّي وتطور درجة التهديد والانتقام، فمفردات السياق السابق، أرسلت لمتلقّيها بأن أخذ الحق منكم يكون من المُعتدَى عليه، وإن لم يتحقق ذلك فهناك من يقف على حمايته وأمنه، ذلكم الإمام الذي بويع للحفاظ على مقدّرات الوطن وحماية من ينتمون إليه، وهو ما فعله ويفعله الإمام في رد الخصوم ناكسي رؤوسهم؛ لكونه يتميز بميزات عزّ نظيرها عند العدو:

إن ابـن سـيـف مـتـى أسـرت سـريـتـه
أبـت يـلـوح عـلـى أظـفـارهـا الـظـفـر

وإن أغـار عـلـى أهـل الـغـرور بـدت
لـلـفـتـح والـنـصـر فـي أنـصـاره غـرر

ذرى الـعـداة بـريـح مـن عـزائـمـه
مـا قـط تـبـقـى عـلـى شـيء ولا تـذر

أبـر فـي ذلـهـم ذو الـعـرش حـلـفـتـه
فـثـوبـهـم لـيـس تـرفـوا خـرقـه الإبـر

مـلـك عـظـيـم جـلـيـل الـقـدر نـاصـره
مـلائـك الله والأسـيـاف والـقـدر

مـخـاطـر غـيـر هـيـاب ولا وكِـل
فـي كـل أمـر لـه بـبـن الـورى خـطـر

صـعـب عـريـكـتـه فـي كـل مـعـتـرك
وقـد تـطـايـر مـن نـار الـوغـى الـشـرر

إن أورد الـرمـح يـومـا فـي وريـد فـتـى
فـصـدرُ آخـر رمـاح لـهـا صـدر

فهو كما جلته صورة النص بكل تفاصيلها ـ وليس ذلك مبالغة في وصفه كما كان يفعلها متكسبي الشعر في مدح سلاطينهم أيام الجاهلية والإسلام إلا ما ندر ـ لكون هذه المفردات تسيطر عليها قوة اللفظة؛ لأنها تحمل دلالة القوة والشهامة، كما أن لغة النص تناصت مع الأسلوب القرآني، وذلك انعكاس لثقافتهم الدينية؛ لذلك امتزجت أفكارهم بلغة القرآن وأحكامه، ومن ذلك قوله: «**تبقي على شيء ولا**

تذر» وهذا التناص الدلالي مع اللغة القرآنية ليس غريبا عليهم لأنهم شربوا من مشرب القرآن، إذ أغلب شعراء هذه الفترة كانوا علماء في العلوم الدينية والشرعية.

إن اللغة النصية أحالتنا لمرجعية أخرى تناصت **وقصيدة عمورية** لأبي تمام من خلال مجموعة من المفردات: منها «**ما إن خلا رجب منها ولا صفر**».

المبحث الثاني:

صورة الحرب
النفسية التكتيكية أو التعبوية

هذا النوع من الحرب، يقصد به الصدام المباشر مع العدو، والالتحام به[1]. كما سمّى آخرون هذا النوع من الحرب النفسية بـ«التكتيك»[2]؛ لكونها موجهة ضد العدو مباشرة في الميدان.

لم تكن النصوص الشعرية بعيدة عن البعد النفسي، أو التكتيكي أثناء خوض المعركة، أو بعد ذلك، وذلك متجسد في المقطوعات الشعرية التي رصدت تلك الأبعاد بلغات تباينت مفرداتها في لغتها التصورية، هذا التصوير مارسته أغلب النصوص الشعرية المعاصرة لأحداث دولة اليعاربة مع المستعمر البرتغالي.

---

(١) حسونة وآخرون، خليل ابراهيم. الحرب النفسية الحديثة (الدعاية، الإشاعة، غسيل المخ، ميادين أخرى)، وزارة الإعلام فلسطين، ط١، ص٢٧.

(٢) الحرب النفسية، حجاب، ص٧٩.

أولاً: أنموذج الحبسي[1]:

وليلة سعد مزق السيف ثوبها
كأن دجاها بالسيوف نهار

تزاحمت الأبطال فيها سحائبا
من الحرب حمرا حشوهن غبار

كأن يحاميم العجاجة عارض
تلامع فيه كالبروق شفار

فما زالت الهيجاء حتى تفرقوا
ولكن عرتهم ذلة وفرار

وقد صارت البحرين في ملك سيد
كريم زكا فرع له ونجار

سلالة سيف نجل سلطان الذي
لنا أمنت سوح به وقفار

هنيئا إمام المسلمين ببلدة
بكم طاب فيها مفخر وفخار

لقد كان فيها للأعاجم غبطة
فزمّوا مطايا البين منها وساروا

نعم وسُقوا من منهل الحتف شربة
بها من عُقار الموبقات عُقار

---

(١) ديوان الحبسي، ص٦١ - ٦٢.

فـولـوكـم أدبـارهـم وتـبـلـدوا

وقد وقفوا دون المحيص وحاروا

وكانوا بها أسدا فلما غزوتهم

غدوا بقرا عُونا لهن خوار

رأوا منكم ما لا يرى بخت نُصَّر

وما لا يراه مَصدع وقُدار

فلم يبق فيها للأعاجم ملجأ

ولم يبق فيها لليهود حمار

ولم يبق إلا من تراه مجدلا

قتيلا ومن بين الرجال يجار

فلم يحمهم من أسيفَ الأسد قلعة

ولما يصنهم معقل وجدار

انطلقت إيقاعيات النص بصوت يثير قلقا وجلبة «**وليلة سعد مزق السيف ثوبها**» فالسيف خلق توترا في ذاتية المتلقي من جراء الفعل الذي قام به، حيث حوّل ليالي سعدهم إلى سواد مرعب، كما أن النص بنى للمتلقي صورة تقريبية لأرض المعركة وما يحدث فيها من قتال:

«وليلة سعد مزق السيف ثوبها

كأن دجاها بالسيوف نهار

تزاحمت الأبطال فيها سحائبا

من الحرب حمرا حشوهن غبار

كـأن يـحـامـيـم الـعـجـاجـة عـارض

تـلامـع فـيـه كـالـبـروق شـفـار

فـمـا زالـت الـهـيـجـاء حـتـى تـفـرقـوا

ولـكـن عـرتـهـم ذلـة وفـرار»

تعمّد النص تحويل أرضية المعركة إلى صور حسية من خلال الواقع الميداني، حتى تبقى مرتسمة في ذاتية الخصم، وعاملا إيجابيا في نفسية المقاتل:

الصورة الأولى: صورة السيف والفعل الإيجابي الذي حدث في المعركة، مما حول ليل السعادة إلى بؤس دائم، ثم تشكلت صورة أخرى تداخلت مع الأولى نتيجة اشتداد وطيس المعركة بين الطرفين؛ مما حول الليل إلى شعلة من اللمعان.

بينما الصورة الثانية: كانت لصيقة بأرضية المعركة فـ «**تزاحمت الأبطال فيها سحائبا**» دليل على الكثرة واشتداد الصراع؛ مما جعل الغبار يتطاير مشكلا سحبا، لكنها كانت بلون الدم، وهذه صورة برع النص في تكوينها، إذ كيف تكون سحائبا من الحرب «**حمرا حشوهن غبار**» وتكمل هذه الصورة «**يحاميم العجاجة عارض**» وهو السواد القاتم الذي لا تكاد ترى من خلاله شيء سوى لمعان السيوف، وذلك دليل لحدة القتال.

وتأتي الصورة الرابعة «**فما زالت الهيجاء حتى تفرقوا**» لتحكي لنا الانتصار، فالحرب طالت ولكنها كانت في دائرة الانتصار للمسلمين.

هذه التجسيدات لحيثيات المعركة؛ لحرية بهزيمة المتلقي ـ العدو ـ نفسيا، كونها نقلته بلغتها الخيالية إلى عالم الحقيقة.

بعدما رسم صور التصادم بين الطرفين، نقلنا إلى الصور الأخرى التي جاءت تباعا لنتائج المعركة وما خلفته من إيجابيات للمنتصر، وسلبيات في نفسية المهزوم وقومه:

«**فزمّوا مطايا البين منها وساروا، نعم وسُقوا من منهل الحتف شربة، فولوكم أدبارهم وتبلدوا، غدوا بقرا عُونا لهن خوار، فلم يبق فيها للأعاجم ملجأ، ولم يبق فيها لليهود حمار، ولم يبق إلا من تراه مجدلا قتيلا ومن بين الرجال يجار، لم يحمهم من أسيف الأسد قلعة**». لقد كانت النتيجة الانتصار وتولي ما تبقى من الأعداء هاربين، فلم تنفعهم التحصينات، ولا الأساليب في حماية أنفسهم، وذلك دليل على قوة المُنتصر، لما يملكه من إرادة وصدق نية، أساسها المبدأ العقدي الذي يقاتل من أجله، وهذه المفردات بتلقيها كافية لهزيمة المتبقين نفسيا.

ثانياً: أنموذج الصارمي[1]:

ومن النماذج التي رصدت الحركة الجهادية، ما سجله محمد بن مسعود الصارمي، بمناسبة فتوحات الشرق الأفريقي، في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي، والتي استهلها بمقدمة غزلية استغرقت أكثر من عشرين بيتا، جاء مطلعها:

---

(١) شقائق النعمان، ج١، ص٦٦ ـ ٦٨، انظر الملحق ١٧.

كشفن عن تلك الوجوه الصباح

إذ زمت العيس ليوم المراح

إن تلك المقدمة انصهرت في بعدها الإيحائي بنصية السياق؛ لكونها مهدت للخطب العظيم الذي لاقاه، وما تلك الغواني إلا صورة جسدت روح التضحية من قبل أولئك الأبطال الذين هجروا أوطانهم وأهلهم من أجل تحرير الموطن من دنس العابثين، تاركين الملذات وأفانينها، على الرغم أنها مقبلة عليهم، وهو نوع من التربية الروحية التي كان يتميز بها المجاهد في سبيل الله. هذا السياق يعد رسالة كبرى للعدو الغاشم، بأن المجاهد مهما تعلقت به الدنيا، فليس لها سبيل عليه، وهو ما عبرت عنه لغة القصيدة في مقدمتها:

وجئن يختلن يعاتبنني

يبسمن عن در كلون الإقاح

خامرهن الشك في عزمتي

فقلن جد منك أم ذا مزاح

أسبلن دمعا هاملا هاطلا

إذ صرت في عزم النوى باتضاح

فشبهت اللؤلؤ والدر من

فيهن والنظم وعقد الوشاح

حتى إذا ما قربت ناقتي

نحو رحالي واحتملت السلاح

أقبلن كئيبات يودعنني
مددن إلي الأكف السماح
صافحنني بكماً بلا منطق
مني ومنهن وكنا فصاح
من عَبرة حلّت بنا لم تزل
ما بيننا تذري الدموع السفاح
كأنما النطق حرام على
ألسننا والدمع منا مباح
قد شحت الألسن بالنطق إذ
جادت عيون بالدموع القراح

وهكذا اتضحت نصية الخطاب بعد تلك الإيماءات المكتنزة لرمزية النص، إذ انتقلت الصورة جلية واضحة، بأن الظلمة التي عاشتها المَواطن تبلج فجرها، وانكشف كربها:

لا تجزعي يوم النوى خلتي، كل ليل مدلهم صباح

إن المفردات «**أطوي، أتينا، قلت**» توحي بلغة المشاركة، إذ الضمير فيها عائد لقائل النص؛ ذلك مما يؤكد بأنه أحد الجند المشاركين في المعركة. هذا الحضور الميداني في المعركة جسد حقيقة ما يحدث هناك، فأصبحت اللغة التصويرية لها وقع نفسي في ذاتية المتلقي:

أطوي الفلا واليمّ في فيلق
يُطفيء ضوء الشمس والجو صاح

حـتـى أتـيـنـا «بـتـة» بـالـضـحـى

ثـم نـزلـنـاهـا بـأرض بـراح

بعد تلك الإيماءة الممهدة لنقل ما يحدث في الميدان، يتواصل النص في بث صوره العسكرية تباعا:

أولها: أفادت الجرأة القوية لاقتحام معسكر المستعمر التي عبر عنها بقوله: «**فاقتحموا السور كأسد الفلا**» وكأن العدو يعيش حالة هلع وخوف، جراء التحصينات التي صنعها، ولذلك لم تغن عنهم شيئا، فاقتحم الشراة تحصيناتهم، ثم التقى الصفان «**واشتدت الحرب وضرب الصفاح**» هذه المفاجأة التكتيكية التعبوية مكنت المجاهد من سحق عدوه، فخلفوهم قتلى، مصروعين ﴿**كأنهم أعجاز نخل خاوية**﴾[1]. إذ الصور التشبيهية محملة بدلالات تشير إلى فظاعة الحدث، والدليل قوله: «**كأنما القتلى بأرجائها من فئة الإفرنج صرعى طراح، كأنهم أعجاز نخل بها منقعر من عاصفات الرياح**». هذه الصور جاءت متناصة مع قوله سبحانه ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[2]. وبذلك استطاع البعد النصي أن يحيلنا إلى أحداث عظام حكاها القرآن الكريم عن الأمم السابقة، من مثل قوم عاد، وماذا حل بهم من نكال، نتيجة تكذيبهم بآيات الله ورسله. هذه المرجعية استثمرها النص في لغته النصية لوصف الأحداث التي حلت بالبرتغاليين وأعوانهم، لما ارتكبوا من مخالفات استحقوا بها هذا

---

(١) سورة الحاقة، ٧.

(٢) سورة القمر، آية ٢٠.

النكال. وهي تعود للمتلقي السلبي ـ العدو ـ بلغة الحرب النفسية، لما تحمله من إنذار وتهديد في بعدها الإيحائي، كما أن هذا التصوير الميداني لمجريات المعركة هدفه البعث الإيجابي للجنود الموالين للإمام، وبعث الروح المعنوية فيهم، وتشجيع النفوس المتخاذلة عن نصرة الإمام.

وتأتي الصورة الثانية:

فـانـهـزم الإفـرنـج مـن بـتـة

بـالـذل والـخـزي والافـتـضـاح

صيغة «فانهزم» تدل على لغة الزمن الماضي، وبذلك ألقى النص جملته الخبرية «**فانهزم الإفرنج من بتة بالذل والخزي والافتضاح**»؛ ليقول للقارئ، لقد نجح المجاهدون في معركتهم، وحققوا الهدف الذي خططوا من أجله، فاستُردت معاقل المسلمين من قبضة المستعمرين، نتيجة البعد الاستراتيجي العسكري للقيادة الإسلامية اليعربية العمانية المظفرة. وبذلك حقق النص بعده الدلالي للمتلقي من خلال ذلك النقل الفني لأحداث المعركة، فأصبح بذلك سجلا فنيا وتاريخيا لتلك الأحداث.

وتتوالى الصور الشعرية بلغة أو بأخرى، من شاعر لآخر، راسمة الأبعاد الميدانية للمعركة، وهي بذلك تبعث رسالة أخرى لا تقل أهمية عن الضربات الحربية المباشرة للعدو.

ثالثاً: أنموذج للفزاري[1]:

ألـفـوهـمُ وكـأن كـلّ يـد لـهـم
مـشـدودةٌ إبـهـامـهـا والـخـنـصـر

ذبـحـوهـم ذبـح الـضـحـايـا بـالـظُبـى
بـالـكـوت حـتـى الـكـوت قـان أحـمـر

نـصـرٌ مـن الله الـعـزيـز لـعـبـده
سـيـف بـن سـلـطـان الـكـريـم ومـفـخـر

يـا مـعـشـر الإفـرنـج كـم مـن قـلـعـة
لـكـم تُـقـرّط بـالـظُـبـى وتـسـور

صـال الإمـام عـلـيـكـم فـابـتـزهـا
مـنـكـم وأعـيـنـكـم إلـيـهـا تـنـظـر

لـم يـحـتـكـم مـنـه حـسـام أبـيـض
يـومـاً ولا رمـح هـنـالـك أسـمـر

إن الـضـلال جـنـوده مـخـذولـة
والـحـق مـنـصـور الـجـنـود مـظـفـر

ذقـتـم بـيـوم «الـديـو» أدواء الـردى
وبـيـوم «بـتـة» بـتّ مـنـكـم أكـثـر

ولـقـيـتـم مـن بـأس سـيـدكـم فـتـى
سـلـطـان فـي «مـمـبـاسـة» مـا يـبـهـر

---

(١) ديوان الفزاري، ص١٨٣.

قد أُهدرت بالمرهفات دماؤكم

وغدت فحول الحرب فيكم تهدر

ولسوف يغزوكم بقوم كهلهم

وغلامهم شهم الجنان غضنفر

إن الإمام على العداء مسلط

بعضاً يقتلهم وبعض يأسر

لازلت يا سيف بن سلطان لنا

كهفاً نلوذ به وعيناً تبصر

الله يكفيك العدو وكيده

ويقيك موقع ما تخاف وتحذر

مغناك معمور وحظك وافر

وعلاك باقية وأنت معمر

حمل النص أبعادا سيميائية من خلال مفرداته النصية ـ «**ألفوهمُ، وكأن كلّ يد لهم مشدودةٌ إبهامها والخنصر، ذبحوهم ذبح الضحايا بالظُبا**» ـ التي أشارت إلى شدة الانتقام من هؤلاء القوم، فكان نصيبهم التقييد والتقتيل؛ وتللك إيماءة لأحداث شنعاء ارتكبها الخصم، وإلا فما نكّل بهم هذا التنكيل، إذ التقييد ثم الذبح، هو من شأن البهائم كما يشير النص.

ثم يتابع السياق رواية النصر التي تحققت للإمام بفضل الله «**نصرٌ من الله العزيز لعبده سيف بن سلطان**». لم تتوقف اللغة عند حدث النصر، بل تتابعت لغتها السردية واصفة جاهزية الإمام وقوته أمام

خصمه، بلغة تعبيرية هيمنت عليها الدلالة الخبرية؛ لكون السياق في معرض استعراض القوة والبأس التي تملّكها القائد، «**فكم من قلعة لكم تقرط بالظبا، ثم صال الإمام عليكم فابتزها**»، هذه المفرداات ذات دلالة واضحة على تدهور القوى عند الخصم الذي حاول التشبث من أجل حماية نفسه من الأسر والقتل، لكنه رجع خاسرا، إذ السيف والرمح تسلط عليه، فلم يجد طريقا للهرب منه، وهذه نتيجة حتمية لكل مخالف، فالطريق السلبية حبلها قصير، لا يمكن لها الاستمرار طويلا، وحتى لو تطاول عليه العمر، لا يلبث حتى يتلاشى؛ لكون بنيانه قائم على شفا جرف هار، وبذلك انهارت قوى الخصم في أماكن كثيرة، تعمد السياق باجترارها؛ لكونها رسالة تحمل في طياتها تهديدا مغلفا للخصم «**ذقتم بالديو أدواء الردى - وبيوم بتة بت منكم أكثر - ولقيتم من بأس سيدكم.... في ممباسة ما يبهر - قد أهدرت بالمفرهفات دماؤكم - وغدت فحول الحرب فيكم تهدر**». فالدلالة السياقية للنص جاءت بلغة خبرية تبعث في نفوس الأعداء الخوف والحسرة.

لم يتوقف سياق النص عند لغته الخبرية؛ بل استخدم لغة إنشائية تؤرق مستقبلهم، وتقض من مضجعهم «**ولسوف يغزوكم بقوم كهلهم وغلامهم شهم الجنان غضنفر**» ويختم السياق صورته الحربية بمدحية للإمام القائد الذي ضحى بكل ما يستطعيه من أجل حماية الرعية من أي متسلط خارجي، إذ ذلك شأن الراعي في أي زمان ومكان، وكان ذلك سلوك ومنهج الرواد القواد السابقين الذين شربوا من مشرب القرآن.

المعركة وأحداثها وبعدها التصويري، تكاد تعيش لغة واحدة بين شاعر وآخر؛ لكونهم ينتمون لمدرسة التراث جميعا، كما أنهم عاشوا لحظات المعركة، واشتركوا في المحيط البيئي، فما عشناه من سرديات رُويت عن فتح ممباسا عند الفزاري، نعيشه الآن مع لغة جديدة عند الحبسي، لكننا نعترف بأن لغة البناء تتباين من نص لآخر؛ خاصة بين الشعراء، فاللغة الشعرية عند الحبسي تتكيء على قوة اللغة، وبراعة التصوير؛ لكونه يعيش لغة تناص مع الجيل الشعري الأول.

رابعاً: أنموذج للحبسي[1]:

وقفتنا الآن مع نص عاش نشوة النصر بلغة تعبيرية فاقت خيال المبصر، إذ النص الذي يطالعنا من مدونة الحبسي، الذي فقد البصر وهو لا يزال في نعومة أظفاره، إلا أن خياله الواسع استطاع إن يحلق بنا في سماء المعركة، وكأنه يشاهدها:

طلت عمرا وعشت نصرا وعزا، وجزاك الإله خيرا فأجزى
وبلغت العلا وأوسعت أعداءك ضربا لهم وطعنا ووخزا
وضربت العدو بالسيف ضربا، ووكزت الحساد بالغم وكزا
كم محب سررته وعدو لك صيرّت قلبه مشمئزا
ثم أغفيت ذا الخصاصة بالمال وفُقتَ الملوك جندا وبزا
كم غدونا لما بلغت ذرا المجد نهنى ومن قَلاكَ يُعزى

(١) ديوان الحبسي، ص١٦٧ ـ ١٦٩. انظر الملحق رقم ١٣.

لا ترُف بالعدو حتى تراه واهي العزم واقفا عنك عجزا

وإذا ما غلبته فاجعل الحزم مِجناً منه وركنا وحرزا

إنما الفخر للذي حكّم الصمصام في رأيه وعز وبزا

صيغة الخطاب المفرد سيطرت على لغة النص فقوله: «**طِلت، وجزاك، وبلغت، وأوسعت، وضربت، ووكزت، كم محب سررته، وعدو صيرت قلبه مشمئزا، ثم أغفيت ذا الخصاصة بالمال، فقت الملوك، كم غدونا**» دلالات جاءت لغتها خبرية، تحمل العز والمجد للوطن الذي نعم بالأمن من جراء زجره للمعتدي، وحربه للخصم، فتحول المجتمع إلى أمن وطمأنينة. كما أن تلك الأفعال التي أتكأت عليها الجمل في النص حاولت زرع لغة نفسية عميقة، فطلت + عشت + وجزاك = دلالات تحمل لغة الثناء والدعاء لأفعال قام بها، وهي: بلغت العلا + وأوسعت الأعداء ضربا وطعنا ووخزا + وضربت العدو بالسيف ضربا + ووكزت الحساد بالغم وكزا. هذه الصفات التي أبرزها السياق في فعله البطولي ضد الأعداء جاءت بصيغ المصدر المبين للفعل والمؤكد له، وبلغة قوية.

إن ذلك التصدير لتلك الأفعال كان بمثابة إشارة وتمهيد لسياق جديد، كان بقصدية، والدليل على ذلك تحولت نبرة الخطاب النصي من الخبرية ـ التي جاء في سياق المدح ـ إلى الإنشائية، ولم يكن ذلك اعتباطا، فالسياق جاء بتلك المفردات ليقول للقائد: لقد كنت، وكنت، وكنت، فما نتمناه منك اليوم، أن يكون إقدامك أكبر من الأمس؛ لأنك اتصفت بتلك الصفات. وهذه هي لغة الاستنهاض

بعينها، التي استخدمت البعد النفسي في سياقها. فقوله: «**لا ترُف بالعدو حتى تراه واهي العزم**» ـ أي لا ترؤف من الرأفة بالعدو ـ «**وإذا ما غلبته فاجعل الحزم مجنا**» مفردات جاءت بلغة الإنشاء ـ النهي والأمر ـ لتستنهض ذاتية هذا القائد، وتجعل منه سدا منيعا لحماية الوطن، وهزيمة الخصم، لذلك نجد يختم النص صورته بقوله: «**إنما الفخر للذي حكم الصمصام وعزا وبزا**» وتلك لغة إشارية مبطنة تحمل لغة الدافعية بشيء من البعد الاستفهامي المدحي للفاعل، والتقريع للمهمل المتكاسل. هكذا عشنا لغة نصية كانت بين الخبر والإنشاء، ولم يكن ذلك التبادل في تلك البنيات اعتباطا؛ بل كان قصدا، كما جلّته سياقية النص.

إن صورة الحرب النفسية التكتيكية، تتجلى في أبعاد كثيرة منها: ما بينته سياقية النصوص السابقة، وذلك متمثل في لغة المواجهة الحربية بين الصفوف، وما ينتج عنها من قتل وتنكيل، وغير ذلك، ومنها نتيجة الهزيمة التي تودي ببعضهم للأسر. إذ كل هذه الصور تعد رسالة للخصم الذي لم ينزل الميدان بعد، وهذا دور فعال للرسالة النصية في هزيمة العدو.

خامساً: أنموذج للمغافري[1]:

وفي هذا السياق يطالعنا نص يحمل شيئاً من هذه الأبعاد النفسية التي نتبينها من خلال السياق النصي الآتي:

---

(١) إيقاظ الوسنان، ص٧١ ـ ٧٣.

ليس يُشفى من حرقة «الديو»[1] إن أحرقن منا بالاستراق خيام
هـذه مـن كـلا الـقـلـى وهـذي إرم تـلـكـم الـتـي لا تـرام
أمّها حجه الإله بجيش، لم يلج جأش جنده الإحجام
قاده نجل راشد بن علي، دولة الرشد والمعالي مرام
ليث غاب وغيث محل به يشفي ويسقي العداة والأيتام
وسباهم ألفي أسيراً كان قدما، زجّ الدمع منهم العلام
واقتنى منهم كنوزا، غدا يبهر منها قارون بل بهرام
«وبمباسة»[2] أذاقهم بأسا بئيسا، سيئت به الأصنام
وغزا «كلوة»[3] بكل كمي، لم يثن منه الغرار انثلام
ولدى «زنجبار»[4] زمجر فيهم رعد، زجر لم ينج منه اعتصام
«وبيمبي»[5] نابهم منه ناب، لم ينبه عن المضى انهتام
وكذا في «مخا»[6] قد امتخ منهم، أعظما قبل ضيمه لاتضام

---

(١) موقع غرب الهند، هزم فيه البرتغاليون شر هزيمة من قبل دولة اليعاربة.

(٢) مدينة في شرق أفريقيا فتحها الإمام سلطان بن سيف، وظلت تابعة لدولة عمان حتى نهاية الوجود العماني في الشرق الأفريقي.انظر. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص١٦٢ ـ ١٦٤.

(٣) واحدة من المواضع التي فتحها اليعاربة في شرق أفريقيا، وبقيت في ظل الحكم العماني مثل ممباسا. انظر: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٤) المعروفة الآن بنفس الاسم في أفريقيا، حررها الإمام سيف بن سلطان اليعربي الأول. انظر المرجع السابق، ص١٧٣.

(٥) مدينة في الساحل الأفريقي الشرقي حررت من المستعمر البرتغالي على يد اليعاربة. انظر: المرجع السابق، ص١٩٧.

(٦) مدينة تقع على حدود الساحل اليمني.

ولدى «باب مندب»[1] كم دم طل ومال، أماله الصمصام
كل شار أفاد عدة آلآ ف عداه من بعده الإعدام

لقد سجل النص بعدا تاريخيا للأحداث التي انتصرت فيها القوة الإسلامية المظفرة بقيادة دولة إمامة اليعاربة العمانية على الطغاة والمتربصين، في كل من موقعة «**الديو**» والتي هزم فيها البرتغاليون شر هزيمة وعاد المجاهدون بالعطايا والأموال الوفيرة؛ مما أسست بعدا اقتصاديا على دولة عمان من خلال تأمين الطريق التجاري للهند، والعودة للوطن بخيرات كسبها المجاهدون نتيجة هزيمة العدو.

إن قيادة الإمامة في عمان زمن دولة اليعاربة في قوتها خطت خطوات واسعة لتأمين الطرق البحرية من أجل حرية التجارة وحفظها من القرصنة الاستعمارية، فبعد موقعة الديو، تواصلت الكتائب لتأمين الحرية البحرية شرق أفريقيا، حيث قامت الكتائب بمهاجمة مواقع البرتغاليين والغزاة في كل من «ممباسا وكلوة وزنجبار وبيمبي، ثم مخا وباب المندب» هذه الأماكن رصدها النص بلغة نظمية رائعة.

(١) المعروف بمضيق باب مندب. جهينة الأخبار ص١٩٧.

المبحث الثالث:

صورة الحرب النفسية التعزيزية

هذا النوع من الحرب، ليس أقل أهمية من النوعين السابقين؛ «لكونها تهدف إلى تثبيت دعائم النصر، الذي حققته الحرب النفسية والاستراتيجية التعبوية»[1] فالاستنهاض والحماسة عاملان مهمان لتحفيز الدافعية عند الفرد؛ ولذلك نجد الشعراء يستخدمون هذا السلاح النفسي للنفوس قبل وأثناء المعركة وبعدها.

أولاً: أنموذج للغشري[2]:

طمسوس الحق جدد لي سهادي

وشب جحيم نار في فؤادي

فيا من يدّعي الإسلام دينا

فما الإسلام أركان الفساد

---

(١) الحرب النفسية الحديثة، ص٢٨.

(٢) ديوان الغشري، ص١٣٤، انظر الملحق رقم ٤.

بـل الإسـلام بـالـقـسـطـاس قـامـوا
وهـم كـالأسـد فـي يـوم الـجـهـاد
ويـا طـوبـى إذا مـا الـحـرب قـامـت
لـطـاعـة خـالـق رب الـعـبـاد
غـداة تـصـادم الأبـطـال فـيـهـا
ونـار الـحـرب شـبـت بـاتـقـاد
إذا سـالـت سـيـول الـمـحـل يـومـا
فـنـم والـتـذّ صـبـحـا بـالـرقـاد
تـضـرّع لـلـقـطـيـن ومـا يـلـيـهـا
بـمـنـهـلّ الأصـائـل والـعـوادي

لقد كانت الأمة الإسلامية تأرق عندما تصاب في دينها وعرضها؛ فلا يلذ لها شيء من الحياة؛ بل تتفانى لحل تلك المعضلة التي انتابتها، ذلك الإحساس تجلى عند كل فرد انتمى لدائرة الإسلام الحقيقية. وهذا ما حققته لغة النص، المتمثلة في دوائره الفكرية التي تجلت في «**طموس الحق جدد لي سهادي، وشب جحيم نار في فؤادي**» فالمتلقي يقرأ الحالة النفسية التي تنتاب المؤمن عندما يدنس دينه، أو تنتهك أعراض الإسلام، وهو ما عبر عنه السياق.

هذه الإصابة في الدين خلقت توترا انبعث من خلاله قوة مضادة لذلك الشر، وقد أكد ذلك «**جدد، شبّ**» إذ جاء الفعلان بصيغة الماضي، هذه الصيغ جاءت ممهدة للغة الاستنفار العام، بأسلوب النداء التهكمي التقريعي، الذي أسسه النص بلغة استنهاضية مبطنة:

فـيـا مـن يـدّعـي الإسـلام ديـنـا

فـمـا الإسـلام أركـان الـفـسـاد

بـل الإسـلام بـالـقـسـطـاس قـامـوا

وهـم كـالأسـد فـي يـوم الـجـهـاد

فالنص جاء محددا الأسس العامة للمنتمين لدائرة الإسلام، إذ الإسلام ليس قولا بدون فعل، أو تكاسل وتقاعس عن تأدية المهام التي أوكلت للمنتمين إليه؛ بل المنافحة، والدفاع عنه؛ خاصة في لحظة المعركة.

وهنا برزت أبعاد اللغة النفسية الداعية للاستنفار لمواجهة العدو «**وهم كالأسد في يوم الجهاد**» تلك اللغة الداعية لمواجهة العدو تواصلت، ولكن بأسلوب دعائي جميل، تحول من لغة التقريع والتهكم، إلى لغة التحبيب، من خلال المفردات المكتنزة التي تظهر القيمة الجزائية التي سينالها أولئك الملبّون لتلك الدعوة «**ويا طوبى إذا ما الحرب قامت، لطاعة خالق رب العباد**» بعد لغة اتصالية تحكي بعد الترغيب للمعركة، ينقطع النص لفظيا بلغة التفاتية لموقع الحدث، وما يحدث فيه من وطيس:

غـداة تـصـادم الأبـطـال فـيـهـا،

ونـار الـحـرب شـبـت بـاتـقـاد

إذا سـالـت سـيـول الـمـحـل يـومـا

فـنـم والـتـذّ صـبـحـا بـالـرقـاد

تـضـرّع لـلـقـطـيـن ومـا يـلـيـهـا
بـمـنـهـلّ الأصـائـل والـعـوادي

إن لغة التعزيز النفسي تتجلى قيمتها في رفع معنويات القائد وجنده، وذلك من خلال تعاضد المجتمع معه بشتى أنواع المشاركة والتأييد، فإشعار القائد وجنده بأن المجتمع عنده الجاهزية للمشاركة متى ما طُلب منه، أمر يوحي بالتعزيز الذاتي النفسي للذين يخضون غمار المعركة، وشكرهم ومدحهم للذي قدموه كذلك يؤيد فيهم روح التعزيز.

ثانياً: أنموذج للحبسي[1]:

فالنص الذي قاله الحبسي يحمل تلك السمات التعزيزية، التي جاءت مفرداته مؤكدة لتلك الوقفة الشجاعة مع ذلك القائد وجنده، الذين بلوا وسيبلون بلاء حسنا عند ملاقاة الخصم وفي ذلك يقول:

بـلـغـت الـمـعـالي وامـتـطـيـت الـمـراتـبـا
وأصـبـحـت لـلـمـجـد الـمـشـرف صـاحـبـا
وسـدت الـورى جـودا وبـأسـا وهـيـبـة
وعـدلا إلـى أن صـار خـصـمـك خـائـبـا
وأعـددت لـلـبـاغـيـن جـيـشـاً عـرمـرمـا
يـسـد الـنـواحـي شـرقـهـا والـمـغـاربـا

(١) ديوان الحبسي، ص١٥٣ ـ ١٥٦، انظر الملحق رقم ١٢.

وقد مُلئت منها القلوب مسرة
سررنا بها لما قضيت المآربا
وقاك إله العرش كل كريهة
نعم ووقاك الحادثات النوائبا
لك الشرف العالي الذى بلغ السما
إلى أن علا أفلاكها والكواكبا
محمد يا خير امرئ أهلك العدا قتالا
وقد أفنى الشراء مواهبا
فما كل من يهوى المراد ببالغ
مناه ولا كل الفحول ضواربا
فلن يبلغ العلياء إلا الذى له
عزائم يسبقن القنا والقواضبا
وقلب قوي يقصر الرعب دونه
ورأيٌ يرى من حسنه الحزن ذاهبا
ولامة صيد تترك السيف نابيا
وصارم عزم يترك الليث هائبا
وبذل ندى قد يخجل المزن كثره
وبأس به يضحى أخو البغي عاطبا
وجيش فلو أوردته البحر ساعة
الوغى وهو طام أصبح البحر ناضبا
وحزم إذا أبرمت أمرا وقسته
فلم تقض حتى تستبين العواقبا

وحلم وعفوٌ واسع عند قدرة
فهذا الذى أضحى على البحر واجبا
ومن لم يفكر في الأمور فلم يكن
على نوب الدنيا مدى الدهر عاتبا
ومن أخطأ الرأي السديد فلم يلم
سوى نفسه والدهر يبدي العجائبا
ومن جرب الأشياء لم يغترر بها
كفى بحلول الحادثات تجاربا
ولن يبلغ العلياء يا ابنَ ابنِ عامر
فتى ليس يهرق الدماء السواكبا
ولا يسلم الحر الكريم من الأذى
وكيد العدا حتى يصير محاربا
اذا أنت لم تظلم ظلمت ولم تهب
ونال معاديك المنى والمطالبا
وحرب الأعادي إن تقاطرت دونها
عدمت الظهير المستعان المصاحبا
فلا رأي إلا أن تصول بفيلق
فتصبح للضد المعاند سالبا
وإني رأيت الصبر أجمل للفتى
ولكنما الدنيا لمن صار غالبا
فحارب وأسعر للوغى نارها التي
يؤوب بها العاصي أخو البغي تائبا

ومن يشتر الأحرار يربح تجارة

ويبقى عزيزا للمحامد كاسبا

وأربح من في الأرض من يعرف الورى

اختبارا وبشرى بالأسود الثعالبا

ويخترم الأعداء من كل بلدة

ولم يبق إلا النائحات النوادبا

لقد حاول النص في ما يحمله من مكتنزات دلالية غرس قيمة مدحية، لم تكن غايتها المدح العطائي؛ بقدر ما سجلته من قيمة أعطت وتعطي أهدافا وغايات يرمي النص من ورائها، أبعادا يأمل المجتمع في أن تتحقق على يد هذا القائد، ولذلك أفرز النص مفردات كانت بمثابة دفقة قوية لإبراز الصفات التي تميز بها القائد، والتي تحمل في مفهومها الظاهري لغة المدح، إلا أنها تستبطن دلالة أخرى، تتجلى للمتلقي عند سياقها:

بلغت المعالي وامتطيت المراتبا

وأصبحت للمجد المشرف صاحبا

وسدت الورى جودا وبأسا وهيبة

وعدلا إلى أن صار خصمك خائبا

وأعددت للباغين جيشاً عرمرما

يسد النواحي شرقها والمغاربا

إن صيغة البناء التركيبي الذي بنيت عليه دلالات المدح، جاءت بلغة الماضي؛ وذلك يؤكد تحقق تلك الأفعال «**بلغت المعالي** +

وامتطيت المراتبا + أصبحت للمجد المشرف صاحبا + وسدت الورى جودا وبأسا وهيبة وعدلا + صار خصمك خائبا + أعددت للباغين جيشاً عرمرماً» تلك الصفات وما تحقق منها، ألقت بظلالها النفسي الإيجابي على المجتمع الذي كان يرعاه **«وقد مُلئت منها القلوب مسرة»**.

بعد تلك اللغة التمهيدية التي حملت في بعدها دلالات إشارية تتغاير وما سيلقيه النص من حمولات دلالية جديدة، تسعى لإعطاء القائد رسائل واضحة، تتناسب ولغة الموقف، تلك الرسائل جسدت الصفات التي يجب أن يتحلى بها الجيش أثناء مواجهة العدو؛ لكونها لباس مُدّرع يحمي الجند وقائدهم من مزالق الهزيمة:

أولها: العزم:

«فلن يبلغ العلياء إلا الذى له عزائم يسبقن القنا والقواضبا، وقلب قوي يقصر الرعب دونه» فالعزيمة، تعد دافعية ذاتية، ولولاها لهزم المقاتل، فالجبان يتراجع القهقرى، لا لكونه لا يملك القوة البدنية، أو العتاد؛ بل لكون دافعيته مهزومة. وهنا نجد النص يؤسس لهذه القضية؛ ليستنهض بها المقاتلين لمواجهة الخصم، وهذا الأسلوب يعد من أقوى التعزيزات النفسية التي ساقها النص في هذا السياق، وما سيلحق بها من صفات أخرى.

ثانيها: الرأي:

«ورأيٌ يرى من حسنه الحزن ذاهبا» يقال في المثل «الرأي قبل شجاعة الشجعان» هذه خطوات يدفعها النص للقادة؛ لكي يتبصروا

طريقهم قبل الوقوع في مثالب الخصم، فقد كان الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يستشير أصحابه قبل الشروع في المعركة، كل ذلك يعد من الأسباب التي تجعل القائد وجنده متآزرين؛ لكون الرأي جاء بمشورة الجميع.

ثالثها: الشجاعة:

«ولامة صيد تترك السيف نابيا، وصارم عزم يترك الليث هائبا»

إن النص في كليته يدعو لهذه الصفة؛ لكنه جاء هنا بلغة الاستفهام الإنكاري، واصفا القوم الذين تقاعسوا عن حمل السلاح في وجه الخصم، فكان مصيرهم الذل والعار.

رابعها: الإنفاق:

«وبذل ندى قد يخجل المزن كثره». النص يدفع بالقوم إلى استنفارهم لبذل المال في مثل هذه اللحظات، وقد ضرب صحابة رسول الله أروع الأمثال في التضحية، فقد كان البعض منهم يتبرع بماله كاملا من أجل تمويل المعركة؛ استنصارا للحق، وقوة للإسلام؛ وبذلك تحققت أهدافهم التي أسسوها لكيان هذه الأمة.

خامسها: الحزم:

«وحزم إذا أبرمت أمرا وقسته، فلم تقض حتى تستبين العواقبا»

إن مقارعة العدو أساسها الحزم، فلولاه لما استطاع المقاتل مقارعة عدوه، وهذه دعوة مبطنة بأبعاد يجب أن يتلقاها القائد بفهم واع، إذ تساهل القائد، وعدم حزمه، يوصلنا إلى مرامي الهزيمة

والتردي؛ وعليه فالحزم أمر يجب أن يكون ملازما لكل قائد في الدرجة الأولى وكذلك الجند.

سادسها: الحلم:

«وحلم وعفو واسع عند قدرة، فهذا الذى أضحى على البحر واجبا»

إن الحلم يعد من الصفات التي تميز بها أولئك القواد الأوائل؛ خاصة من كانوا على رأس الهرم في القيادة، لأن الانفعال وعدم التروي تهوي بفاعله إلى مزالق وخيمة؛ ولذلك دعا النص لتمثل مثل هذه الصفات في القائد.

لقد عاد النص من جديد ليثبت تلك التوجيهات، ويؤكدها بلغة جديدة، تغلب عليها صيغة العتاب بلغة استفهامية تحمل البعد الاستنهاضي الذي يسعى النص لتحقيقه:

ومن لم يفكر في الأمور فلم يكن
على نوب الدنيا مدى الدهر عاتبا
ومن أخطأ الرأي السديد فلم يلم
سوى نفسه والدهر يبدي العجائبا
ومن جرب الأشياء لم يغترر بها
كفى بحلول الحادثات تجاربا
ولن يبلغ العلياء يا ابنَ ابنِ عامر
فتى ليس يهرق الدماء السواكبا
ولا يسلم الحر الكريم من الأذى
وكيد العدا حتى يصير محاربا

إذا أنت لم تظلم ظلمت ولم تهب

ونال معاديك المنى والمطالبا

وحرب الأعادي إن تقاطرت دونها

عدمت الظهير المستعان المصاحبا

لم يتوقف النص عند تلك الصور التي حاولت رسم إيجابية وسلبية من تحلى بصفات القائد أو أهملها؛ بل جاء مستخدما لغة الأمر. هذه الصيغة الإنشائية الطلبية جاءت بعد أن مهد لها بممهدات تلقيناها طوال هذا التلقي، ومن ذلك قوله:

فلا رأي إلا أن تصول بفيلق

فتصبح للضد المعاند سالبا

وإني رأيت الصبر أجمل للفتى

ولكنما الدنيا لمن صار غالبا

فحارب وأسعر للوغى نارها التي

يؤوب بها العاصي أخو البغي تائبا

ومن يشتر الأحرار يربح تجارة

ويبقى عزيزا للمحامد كاسبا

وأربح من في الأرض من يعرف الورى

اختبارا وبشرى بالأسود الثعالبا

ويخترم الأعداء من كل بلدة

ولم يبق إلا النائحات النوادبا

فالمفردات «أن تصول بفيلق + فحارب + وأسعر للوغى نارها +

وأربح». تلك المفردات انصهرت مع نظمها لتخلق لغة تفاعلية، فالنص يخاطب القائد، مقترحا عليه مهاجمة العدو، ولكن بفيلق قادر على دحر مرتكزات العدو، وبذلك تتحقق الأماني التي تمنّاها المتلقي ضد العدو. ثم أننا نجد السياق يؤكد الأمر الأول «تصول» والثاني والثالث «فحارب وأسعر» والغاية التحفيز وعدم التراجع، والاستمرارية في رد الخصم على خلفه.

ويختتم النص سياقه بصورة أكثر بُعدا في استنهاض الذوات الخاملة، وإسعارا للنفوس المشتعلة «ومن يشتر الأحرار يربح تجارة» فصيغة الشرط أسست صورة جميلة، إذ جاءت بصيغة «البيع والشراء + الحرب وتحرير الناس من العبودية» هذه الصورة بلغتها التصورية بعثت نداء نفسياً للمتلقي بأن الربح في الحياة الكريمة الجادة، ومن خالف سياق ذلك النهج فهو بمنأى عن التكريم؛ والصورة تجسدت قوتها من سياقه الأمري في بث التوجيه لأصحاب القرار والقواد في اشتراء النفوس الكريمة والتخلص من الأنجاس الخائنين، وبذلك يتحقق الربح الذي سعى لتحقيقه قريبا بالنصر والتمكين ومؤجلاً الجزاء والنعيم الأخروي.

وتأتي نهاية النص مختومة بصورة جميلة يحاول أن يبعث فيها الروح الذاتية للدافاع عن العرض من خلال قوله «ولم يبق إلا النائحات النوادبا» وذلك إيحاء لاستنفار النفوس للاستماتة في الانتقام من الأعداء الذين نكلوا وشردوا وقتلوا.

ومما يلحق بصور التعزيز النفسي، رثاء من قدم نفسه قربانا لله،

فاستهان بالحياة الدنيا مقابل ثواب الآخرة، وقد جاء ذلك في سياق خطبة أبي حمزة الشاري[1]: «حتى إذا رأوا السهام قد فوّقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله، ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض، وانحطت إليه طير السماء، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله»[2]. تلك الصفات لحرية أن يقدم لها أقل ما يمكن وهو الرثاء. هذا الرثاء يحمل بعداً نفسياً يتجلى في ذاتية المتلقي بلغة إيجابية من خلال استعراض ما قدمه المضحي، وبذلك يتدافع الآخرون لنيل هذه الدرجة الكبرى

---

(١) المختار بن عوف بن بن يحيى بن مازن؛ أبو حمزة السليمي؛ المشهور بأبي حمزة الشاري، ت: ١٣٠هـ/ ٧٤٨م. قائد شجاع، وخطيب شاعر من أعلام تابعي التابعين، ولد بقرية مجز، الواقعة جنوب صحار بعمان، وانتقل إلى البصرة، فأخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبي مودود حاجب، ونبغ في البلاغة.
أرسله أبو عبيدة مسلم لنصة طالب الحق باليمن سنة ١٢٩هـ، ومن اليمن بعثه طالب الحقّ لمواجهة الأمويين في عقر دارهم بالشام، ولقتال مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أمية، فاستولى على مكة والمدينة، ثم كانت معركة وادي القرى ١٣٠ هـ، وكان استشهاده بها. الشماخي، أحمد بن سعيد، كتاب السير ج١ ص٩٠، تحق أحمد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ـ ت ١٩٨٧ م. السعدي، فهد بن علي بن هاشل ـ معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية ج٣ ص١٧٥.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين ج ٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخنجي، القاهرة، ط ٤. ص٢١.

ـ الشهادة ـ عند الله لما لها من مكان سام ورفيع: وفي ذلك يعبر القرآن الكريم ﴿**فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم**﴾[1].

ثالثاً: أنموذج الحبسي أيضاً[2]:

ومن هنا نتوقف عند رائية الحبسي التي حاولت التوقف عند شهداء المعركة الذين استماتوا من أجل تحقيق العبودية لله، فجالوا بكل ما يملكون تقربا إلى الله، فنالوا تلك الشهادة في سبيل الله:

وما ضرنا من غير موت كرامنا
لأنهم عدل بها وخيار
كحميَر الزاكي ابن سيف بن ماجد
فتى بعده النوم اللذيذ مُطار
ونجل عزيز راشد ومبارك
سليل غريب هم هديت ذمار
ولم أنس ذاك الحضرمي محمدا
فموته للمسلمين خسار
شجاع كفاح لم يقاومه ضيغم
وعضب وغي لم ينب منه غرار

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم ١٧٠.

(٢) ديوان الحبسي، ص٦٣.

ولـكـن صـبـرا فـالـسـنـون حـوامـل
وفـيـهـا الـلـيـالـي ولّـدٌ وعـشـار
ولـلـفَـلـك الـدَّوار عـظـم عـجـائـب
وفـي دهـرنـا لـلـدائـرات مـدار
ودم يـا إمـام الـمـسـلـمـيـن مـظـفـرا
طـوال الـلـيـالـي لا نَـبَـت بـك دار

فالنص رصد مناقب أولئك القوم المضحين راسما صفاتهم التي تميزوا بها، معزيا الإمام في فقدهم ومواسياً قومهم، مؤكدا الغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين.

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة؛ لتقف عند بعد أدبي، مثل صورة من صور عمان الماجدة، في فترات مهمة من تاريخ عمان ـ عصر أئمة اليعاربة ـ والتي تعد من الفترات التي أدت دورا بارزا في تطهير سواحل عمان وغيرها من أرجاس المستعمر البرتغالي؛ امتدادا إلى العمق الأفريقي. هذه الفترة التي تملّكلت عمان أقوى أساطيلها البحرية والبرية، وتوسعت شرقا وغربا؛ محررة تلك البقاع، ومؤمنة لتلك الثغور.

هذه الأحداث العظام خلقت اضطرابا غير عادي في نفوس الشعراء الذين شهدوا وسمعوا عن تلك الأعمال الخيرة، والسمعة الطيبة؛ فرسمت كلماتهم ومشاعرهم ذلك ببعد صوتي، أخرجته تلك الدوال إلى آذان المتلقين، فكان ما كان له من وقع مؤثر. وعليه فإن هذا البحث خرج بالنتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: ـ قرأ البحث ستة أبعاد:

أ ـ ما تعلق بالصورة المشرّفة للمحارب المسلم الذي ضحى بنفسه وماله من أجل الحفاظ على شرف الوطن وقيمته،

ب ـ الأدوات الحربية التي استعان بها أولئك الأبطال في

استخدامها كأداة لصد المعتدي، وهو ما أبرزته النصوص بلغة تصورية رائعة، جعلت منها بعدا حركيا نمّى روح الاستنهاض في ذاتية المجاهد، وأنزل من معنويات الخصم.

ج ـ البعد الزماني والمكاني، وهو ما نقصد به الثغر، وأهميته في الحفاظ على أمن الوطن، وقد صور الشعراء ذلك ببعد جعلت من المحاربين التفاني في الدفاع عن تلك الحياض.

د ـ الحرب النفسية الاستعراضية، والتي كان لها دور بارز في هزيمة الخصم؛ لكونها أداة نفسية فاعلة ترمي العدو بلغة نفسية من خلال اللغة الإعلامية التي رصدها الشعراء في وصف قادتهم بالقوة التي يملكونها في مواجهة العدو، والضعف الذي أصيب به العدو.

هـ ـ الحرب النفسية التكتيكية. وقد أبرزت النصوص الشعرية ما كان يدور بين الخصمين في المعركة بلغة عالية التصوير، غايتها بث روح الهزيمة في نفسية المتلقي ـ العدو ـ وبعث روح النشاط والعزيمة في ذاتية المجاهد.

و ـ الحرب النفسية التعزيزية: وتلك بدورها تزرع روح النصر بالمفردات المادحة المنتشية بالنصر، أو اللغة الرثائية التي من شأنها تمجيد أولئك المضحين بالروح والمال دفاعا عن الإسلام.

ثانياً ـ الصورة الحربية:

جاءت لغتها الموضوعاتية مبرزة صفات القائد وجنده.

ثالثاً ـ لغة الحماسة والنصر:

هو ما أفرزته المتواليات الفكرية في أبعاد النص.

رابعاً ـ اللغة المعجمية التي بنت النص:

جاءت ببعد خطابي غلبت عليه السطحية.

خامساً ـ دلالة النص وبعده التصوري:

زرع بعداً حماسياً في نفوس المجاهدين المقاومين للمستعمر، وفي نفس الوقت غرس لغة الخوف والحذر من الطرف الآخر.

التوصيات:

- توصي الدراسة بمواصلة البحث والدراسة لهذا النوع من الأدب؛ كونه لم يهتم به كثيراً من قبل الدراسين ـ أقصد أدب الحرب في الشعر العماني ـ.
- تشجيع الباحثين العمانين لتناول مثل هذه القضايا؛ إبانة لمجد عمان في تلك الحقبة وغيرها.
- التنقيب عن المدونات الشعرية الأخرى في مجال الشعر الحربي، ـ فترة غير اليعاربة ـ والتي لم تنل حظاً وافراً من الدراسة.

الملاحق

الملحق رقم (١)

- الشاعر الشيخ سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الغشري الخليلي الخروصي، من شعراء القرن الثاني عشر الهجري، ولد الشاعر الغشري في بلدته «ستال» وهي من قرى وادي بني خروص، وتوفي في قريته ستال، وللأسف لم نظفر بتاريخ ولادته ولا بتاريخ وفاته، ويرى الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي انه توفي بعد عام ١١٧١هـ لأنه قد ثبت لديه من وثائق مكتوبة تعود لذلك الزمن أنه كان حياً حتى هذه السنة ١١٧١ هـ، له ديوان شعر اسمه ديوان الغشري[١].

- الشاعر العلامة محمد بن عبد الله بن سالم المعولي، وقد كان المعولي أحد أعلام الشعراء العمانيين الخالدين، عاش حياته في أواخر القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر الهجري، وخلد في شعره ومدائحه مجد شعبه، وعظمة حكامه. كان المعولي يملك موهبة شعرية قوية، وملكة لغوية قادرة عن التعبير عن عاطفه ومشاعره وكل ما يجيش به صدره. وفي ديوانه المسمى بديوان المعولي ظهرت قصائده الساحرة الباهرة[٢].

---

(١) ديوان الغشري ص٢٥ ـ ٣٠.

(٢) ديوان المعولي، مقدمة الديوان.

ـ الشاعر راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي العماني، ولد الشاعر راشد الحبسي في عين صارخ من قرى الظاهرة، في عصر أئمة اليعاربة، فقد الشاعر بصره وهو ابن ستة أشهر، ومات أبواه وهو في السابعة من عمره، بيد أن الأقدار حرمته من هاتين النعمتين، فقد عوضته بموهبة الشعر، عاش شاعرنا في كنف الإمام بلعرب بن سلطان، ولما توفي الإمام انتقل إلى قرية الحزم حيث يسكن الإمام سيف بن سلطان الأول، وبعد وفاة الإمام سيف بن سلطان انتقل إلى نزوى، واتخذها وطنا له، له ديوان شعر يعرف باسمه[1].

ـ الشاعر محمد بن مسعود الصارمي من شعراء القرن الحادي عشر، وهو صاحب عين السواد من أمطى، وقد نشأ في دولة الإمام سلطان بن سيف الأول، وصار هذا الشاعر واليا لهذا الإمام، نظم قصيدة حائية في مسيره إلى بتة[2].

ـ الشاعر عبد الله بن خلفان بن قيصر بن سليمان الصحاري، من شعراء القرن الحادي عشر الهجري، شاعر مؤرخ، اشتهر بابن قيصر، عاصر الإمام ناصر بن مرشد، وأرخ لعصره، توفي بعد الإمام. من مؤلفاته: «سيرة ابن قيصر»، يذكر فيها سيرة الإمام ناصر بن مرشد، وقد انتهى من تأليفها سنة ١٠٥٠هـ[3].

ـ الشيخ العالم الفقيه والناظم البليغ ـ خلف بن سنان بن عشيم

---

(١) ديوان الحبسي، مقدمة الديوان بقلم: الشيخ سليمان بن بلعرب بن عامر السليماني.

(٢) شقائق النعمان ج١ ص٦٦.

(٣) شقائق النعمان، ج١ ص٦٣.

الغافري ـ من علماء القرن الحادي عشر الهجري، كان واليا وقاضيا للإمام سلطان بن سيف الأول، له ديوان شعر كبير، وكان فقيها ومفتيا، يعد من أقران المشايخ: الزاملي وابن عبيدان، له أجوبة كثيرة في الأثر. لم أقف على تاريخ وفاته، إلا أنه إلى أيام الإمام سلطان بن سيف الثاني كان حيا والله أعلم[1].

(١) إيقاظ الوسنان، المقدمة.

الملحق رقم (٢)[1]

الله أكبر كم عاينت من عجب ... ما لا يرى الناس في ماض من الحقب
إني أرى المعز تصطاد الأسود معا ... وطال هذا الحصى فخرا على الذهب
أرى الأنام سكارى في مصيبتهم ... كادوا فلم يعرفوا شعبان من رجب
الله يعلم إن الشر موقعه ... بساحل البحر حتى الوعر فى نصب
والخوف ليس ينال الشر حوزته ... إلا المخافة عمت جملة العرب
قل للأعاجم أن ينجوا بأنفسهم ... من قبل قتل وهتك قاصم الركب
فإن سعدهم ولى وإن قربت ... سعود أهل عمان غير منقلب
لعل حتفهم بالحث شاقهم ... كم قد يساق الي الجزار من جلب
وبعد بضع سنين تسمعن بما ... يجري بدارهم سبي ومن خرب
لتسمعن وشيكا في ديارهم ... للسيف فيها حنين الريح في السحب
وذاك من خلافات ستمحقهم ... محقا وذلكم من أقبح السبب
و سوف يجنون حصدا ماله غرسوا ... بأرض عمان مأكل العطب
من أجل تقتيل أطفال وشيبهم ... للمحصنات وقتل السادة النجب
يا ذائقا صفو عيش في شبيبته ... اصبر على نوب تترى على نوب
ولا تقل كيف هذا: مسلم ولقد ... عليه سلط ربى عابد الصلب
فانظر عجائب صنع الله معتبرا ... لله مر فالزم ذروة الأدب

---

(١) ديوان الغشري، ص٥٦ ـ ٥٧.

وانظر زمانك في دوراته عجب ... للموقعين؛ وفيه غاية العجب
وما أصاب عمانا في زمانكم ... إلاّ بكفرانها الإنعام من غضب
استغفر الله مما قلته عبثا ... مخالفا لمقال الحق والكتب
لكن نظمت على الرؤيا ومنهجها ... ولست ادري بصدق الحلم والكذب
لأن علم إلهي ليس تدركه ... ضرب الرمال ولا الحسبان بالشهب
لقد تفرد عن كل الخلائق في ... علم الغيوب، وصدّيق وكل نبي

ملحق رقم (٣)[١]

لقد ولد الزمان القطمرير ... عجائبا ينصدعن لها الصخور
وأعجب كل مولود تنشا ... ما تلد الأصائل والبكور
لعشر محرم من كل عام خمس ... وستين تقضتها الدهور
كذا مائة وألف من سنين ... أفي خطب ولله الأمور
لهجرة أحمد خير البرايا ... شفيع الخلق إذ جاء النشور
أتي «سوني» القديمة فى صباح ... قبيل الشمس غزو مستطير
من (الظفراء) أعراب لئام ... وإبليس يقودهم الغرور
أتوا فى حين غفلة ساكنيها ... لقد نهبوا وسال دم هدير
فلما أن بهم صاحت رجال ... نهزّم منهم الجمع الكثير
فتلكم نسمة المولى عليكم ... ونصر الله يا نعم النصير
وإنهم مجانين سكارى ... لقد يصحون اذ حل الثبور
فلا شيم ولا دين ودنيا ... لهم وعليهم اللعن الكبير
فلو كانوا أولى شيم ودين ... لما قطعوا السبيل لمن يسيروا
وما كانوا لصوصا للبرايا ... يخافهم الأرامل والضرير
فيا ذلا لمن أضحوا جنودا ... وأنصارا له وهو الأمير
فحينا قد تراه أمير جيش ... وحينا يالله أبداً نصير

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٣ ـ ١٢٥.

ألا اختر آل سيسان نصيرا ... ودع قوما سبيلهم النفور
فقل للحضر حزما ثم عزما ... فإن قتالهم فيه الأجور
فإن جاءوكم ظلما وغدرا ... فضربا للرقاب لمن يجور
لكم أن تغلبوا أجر عظيم ... ومهما تغلبوا تمّ السرور
فإن تردوهم صرعى وقتلى ... لهم خزى وفى العقبى سعير
وإن قتيلهم فى النار يلقى ... وإن قتيلكم تلقاه حور
وإن جريحهم تلقاه ميتا ... ستأكله للقشاعم والنسور
وإن جريحكم حي يداوى ... عليه من سلامته خفير
أيجبر عاقل حر صحيح ... على هذا وفى هذا الحبور
وفى ذى الشهر أحرار توالوا ... لتسوير فقام هناك سور
به سونى لقد صارت حصانا ... حامتها الدوائر إذ تدور
به أمر البلاد وساكنيها ... غداة تكاملت مهما الستور
فبين ستور أمواج حتف ... ومن ريب المنون به يجور
فجانبها البغاة غداة شاعوا ... حتوفا من مراميه تفور
وقام على بناء السور شخص ... حميد الرأى لبق عنقفير
مجدّ طاعن الأعدا برأي ... وعاضده بهاليل صقور
فسورٌ قد تصيّر غار أسد ... حمت أشبالها ولها زئير
فإن الحرب يعقبها أمان ... إذا اشتدت وشب لها هدير
وإن العز فى ظل العوالي ... وتقوى الله ما هبت حرور
صلاة الله ما اختلفت رياح ... على المختار اذ هبت دبور

ملحق رقم (٤)[1]

طموس الحق جدد لي سهادي ... و شب جحيم نار في فؤادي
فيا من يدعي الإسلام دينا ... فما الإسلام أركان الفساد
بل الإسلام بالقسطاس قاموا ... و هم كالأسد في يوم الجهاد
ويا طوبى إذا ما الحرب قامت ... لطاعة خالق رب العباد
غادة تصادم الابطال فيها ... و نار الحرب شبت باتقاد
إذا سالت سيول المحل يوما ... فنم والتّذ صبحا بالرقاد
تضرع للقطين وما يليها ... بمنهل الاصائل والعوادي

(١) ديوان الغشري ص، ١٣٤.

الملحق رقم (٥)[١]

جاد جودا غضى الغوير الغمام ... وهمى فيه هامل ورهام
واعترى مربعا بأكناف وبل ... من حيا المزن وابل وسجام
ولدى رامة سقى رسم ربع ... تصرع الأسد عنده الآرام
ماطر تحسب الربى منه تيا ... را سجى بعد ماعراه النظام
كلما أرزمت مطي نداه ... أيداها الإبراق والإرزام
أو صبا للحقوق أصبته فانصـ ... ـب صبا يستهل منها الجهام
فاكتسى الروض منه أبراد وشي ... لم تحلها صنعاؤنها والشآم
وتغنت أطياره نغمات ... هام منها المتيم المستهام
وسرى النهر منه سرى حباب ... أذعرتها من كف رام سلام
وتعانقن لدنه مثل ما عا ... نق حبا من غال فيه الغرام
أربع طال ما ربعت عليها ... ولثغر الربعان فيها ابتسام
بين قوم لمّا يقم لهم سو ... ق فسُوق أو يدن منهم مدام
وغوان حلس المغاني حسان ... كَلّ عن وصف حسنهن الكلام
جنح داج يجلوه بدر تمام ... ونظيم يضنيك منه انتظام
وكثيب تعلله خوط بان ... بين عطفيه ليس تخطى سهام
فأبى دهرنا المبدد أن يبـ ... ـقى لذيالكم لدينا دوام

---

(١) إيقاظ الوسنان ص٦٨.

حال من دونه شوائب دهر ... من عقابيلها يشيب الغلام
غر من ظن ان حبل المنى ما ... ل عراه من الزمان انفصام
رب ليل ناديت فيه وقد جا ... د بزور من الدنو المنام
ألم القلب منكم الألمام ... ودعا الدمع من هواكم هيام
وسلوتم عنا ولم نسل عنكم ... فعلى العيش والسرور السلام
كيف لي بالسلو عنكم ودمعي ... مستهل وسيف صبري كهام
ما استقامت قبابكم قط حتى ... أثقلتني وقيتم الأسقام
همت من ودكم فديتم بوادي ... عام في عمره الربى والهام
ضرستني أظافر الهجر حتى ... صار سؤلي بأن يحم الحمام
عقمت أم طب بقراط أن يشف ... ى به من أدواءي داء عقام
بي بكم لو ما حملته جبال ... أذنت أن تهدها الأنهدام
لم تغير ودى مغيرات ناء ... نقعها في ضحى الدنو ظلام
مسمعي كل عن مقالة لاح ... فكلام العذول فيه كلام
سئمت عذلي ولما يملني ... عن هواكم ملاله وسآم
إن ثنى اليعربي عن عرب العلـ ... ـيا ملام ثنائي اللوام
ذاك سيف الإله سلطان سيف ... ذو بعلياه أعلى الإسلام
يعربي بفضله أعربت إذ ... عجمته العرباء والإغتنام
كرم كله وعلم وحلم ... وعفاف يقوده إقدام
حسم العدم والأعادي عنا ... نائل غامر له وحسام
وحمانا حماية حام منها الصقـ ... ـر عن حيث ما تحوم الحمام
وسما فوق ذا الأنام بخلق ... شاب طعم الشهاد منه سمام
قل لشأني الأمام شأنك خلف ... من طلاب طلبته وأمام
رم لما شئت لن تنال مرادا ... فحبال المرام منك رمام
أن لله في معاليه سرا ... قصرت دون فهمه الأفهام

رجمت بالظنون أعداؤه في ... نيل علياه فاحتوتها الرجام
ملك غرة الملوك حباه ... عزة الملك مالك علام
قلمت مخلب الأقاليم منه ... مرهفات السيوف والأقلام
بطل أبطل الآله به البا ... طل إذ أحكمت به الأحكام
أرغم الذل أنف شانئه النذ ... ل وعفى ديباجتيه الرغام
كتمت فضله العداة وهل للصـ ... ـبح في صحوها يصح انكتام
لم يشنه ذام سوى أنه في ... كل عهد لديه توفى الذمام
لو بحلم الإمام حلم ابن قيس ... قيس أضحى كأنه أحلام
نظر البارئ الرحيم إماما ... عقمت عن نظيره الأرحام
لو عدت خاتم النبيين قلنا ... أنت للرسل يا ابن سيف ختام
أنت قوم إلى لحوم الأعادي ... قرم لاتهوله الأقدام
وجواد يغني الأنام نداه ... مستمدا عما يجود الغمام
وعفيف مبرأ العرض بر ... لم يدنس ثيابه الآثام
وعليم قد أحكم الحكم وانحا ... ل إليه الإحلال والإحرام
وفصيح كأنما أقبس القا ... موس قاموس صدره النظام
حرم الله منك وجها عن المكـ ... ـروه منه الأيام شهر حرام
كم لدين الإله عودا تجلت ... بك عن وجه زهره الآكام
قد قد الأعداء عضبك لما ... قدمتهم لحربك الإقدام
كلما كلمت كلي ديننا أو ... آلمتها من العدى الآلام
مرهمتها بمرهم البرء بتر ... لك من ضوئها يضيء الظلام
عم حياة يا أروعا من عقابيـ ... ـل سطاه من المعادين عام
قل لمن ظن أن ذا العرش لن ينـ ... ـصره وهو ناصر علام
مد حبلا إلي السماء ثمت اقطع ... وأرن هل غاض مايغيض المرام
أو ما عاينت أفاعليه عيـ ... ـناك عاث فيهما الإظلام

أفما في ديار عبد غدا مستـ ـعبداً من معبوده الأصنام
وبسامي الفؤاد قادهم كر ها كما قيد للذباح السوام
فأتوه بهم أفاكل رعب مثلما ريع بالهزبر البهام
وفدوا مسقطا بعدة بلدا ن عليها دمع القسوس سجام
ثم أروى لمسقط سقط عزم أسقط الظالمين منه ضرام
وهي دار يكاد تذهل منها هيبة حين تذكر الأحلام
لم يكن دافعا لما أدفع البـ ـر عليها مدافع وبرام
لا ولما ينهنه القدر الكا ن عنها الكتيان والآطام
ولدى كنج كان منه بهم ما كاد منه تدكدك الآكام
فغدت من عمان كف بني الأصفر صفرا قد هزها الإنهزام
مار عن أرضها كفيتان مور بعد شهد له المرار طعام
وتجلى عنها جلال فلله ه علينا الإجلال والإعظام
أبهم العقل عنهم فأتاهم عنوة ما اصفرت به الإبهام
همهمت فيهم رعود حتوف من همام في ملكه مهمام
أيهذا الراوي المشيع بان الـ ـري قد بلّ من صداه الأوام
ليس يشفى من حرقة الديو إن أحرقن منا بالاستراق خيام
هذه من كلا القلى وهذي إرم تلكم التي لا ترام
أمها حجة الإله بجيش لم يلج جأش جنده الإحجام
قاده نجل راشد بن علي دولة الرشد والمعالي مرام
صارم سله الإله فما كا ن له غير في الأعادي اندغام
ليث غاب وغيث محل به يشفـ ـي ويسقي العداة والأيتام
فاستصدت قسرا ببأس تصد الصـ ـيد عنه مهما بدا الاصطدام
وسباهم ألفي أسيراً كان قدما زجّ الدمع منهم العلام
واقتنى منهم كنوزا غدا يبهر منها قارون بل بهرام

وبمبـاسة أذاقهم بأس ... يا بئيسا سيئت به الأصنام
ولقد فازة فاز منهم ... بمفاز زلت به الأزلام
وغزا كلوة بكل كمي ... لم يئن منه الفرار انثلام
ولدى زنجبار زمجر فيهم ... رعد زجر لم ينج منه اعتصام
وبمنبي نابهم منه ناب ... لم ينبه عن المضى انهتام
وكذا في مخا قد امتخ منهم ... أعظما قبل ضيمه لاتضام
وانثنى منهم بعدة أفلاك ... تراءى كأنها أعلام
ولدى باب مندب كم دم طل ... ل ومال أماله الصمصام
كل شار أفاد عدة ألا ... ف عداه من بعده الإعدام
ثم أزجى جواري الفلك ينجو ... لمسنبيج ساجها العوام
فاستباح الحريم منها ولم يحـ ... ـصن سوى حصنها عليه مقام
همم هامها منوط إلى ها ... م السهى حرن دونها الأوهام
نحن جند الإله في كل نكر ... كان إنكارنا له أعلام
إن يضئ بارق الحروب انتضينا ... بيض بتر يبيض منها الهام
إن يقد جاحم الوطيس وطيسا ... منه مالا يطمئنه الإقدام
دع خلال الأخوال عنك ولاتفـ ... ـخر بفضل عمت به الأعمام
إنما يرخص ابن آدم أو يغلـ ... ـيه سيما طباعه إذ يسام
رب ذي معشر أفاضل أسما ... هم إلى ذروة الفضائل سام
اقتنى الفضل دونه ابن قيان ... قد حماهم عن المفاخر حام
وإذا الفعل كان غير جسيم ... فغرور أن تجسم الأجسام
هاكها تبدر القريض كما يبـ ... ـدر زهر النجوم بدر تمام
زوجت أيم الفضائل منكم ... بعل ذكر لم تبله الأيام

ملحق رقم (٦)[1]

هو الصبر مقرون به العز والنصر ... فصيره خلقا لايزيله الدهر
فكم صدمة ما للفتى قبل بها ... تولت جهارا حين قابلها الصبر
ألم تعلمن صنع الشرارة ببتة ... وهم مائة مع نيف عدد نزر
أتوها وفيها من جنود أولى العمى ... ألوف بأيديها المهندة البتر
وقد ملكوها واستباحوا حريمها ... وصار لهم في أهلها النهى والأمر
ومن دونهم أسوارها وبروجها ... وقطفية خضر وخيطة سمر
أتوها ضحى والعين تنظر أختها ... يؤمهم فتح ويتبعهم نصر
فما ردهم عن أن يجوسوا خلالها ... لقاء ألوف كان ألفها الكفر
بلى دخلوها عنوة جهرية ... ويجر الردى من كل ناحية غمر
وأبدوا بها صبر الكرام وكابدوا ... امورا صعابا طعمها مقر مر
فأجلوهم منها فولوا كأنهم ... حمير عدافي أثرها جحفل مجر
وكم ليل بؤس مدلهم ظلامه ... جلاه لهم صبح وأوضحه فجر
فحازوا ثناء ليس يبلى جديده ... وغنما على أمثاله يجب الشكر
وشادوا لدين المسلمين بصنعهم ... معاقل صيت دونها الغفر والنسر
بعزمة ملك ليس يقلق قلبه ... عظيم ولا يوما يقلقه ذعر
إمام الهدى سلطان سيف بن مالك ... مليك له دون الورى المجد والفخر

---

(١) إيقاظ الوسنان ص٧٩.

كذا فليكن من سار للحرب قاصدا ... ودع عنك برقا ليس يتبعه قطر
عفاهم وعافاهم من البؤس والأذى ... إليه البرايا إنه راحم بر
لمثلهم فامدح إذا كنت مادحا ... فما فيهم نظم يضيع ولا نثر
شراة شرى ذو العرش منهم نفوسهم ... بأنفس ربح ليس يعقبه خسر
غزوا في سبيل الله غزوة صادق ... فنالوا بها فخرا منوطا به الأجر
يؤمهم ليث هصور غضنفر ... شجاع جرئ باسل مقدم ذمر
سلالة مسعود عنيت محمدا ... حميد المساعي ذو يحق له الذكر
تبدّى لنا من بعد ماكان خافيا ... كما يختف في باطن الصدف الدر
قليل الأذى نزر المطامع ماله ... أفانين من أمثالها يسأم الحر
فبورك من وال ولي وبوركت ... شراة ابن زهران الغطارفة الزهر
سيولون ما عمرت مني مدائحا ... يغنى بها زيد ويشدو بها عمرو
وهذا ثناء رامه لجنابهم ... إمام الهدى بحر الندى السيد الطهر
فلبيته لما دعانى فليكن ... له منهم بين الوردى لا لي الشكر
فعيشوا شراة المسلمين بمفخر ... يزيد اشتهارا زايدا إن مضى شهر
بدولة من حاط الثغور بسيفه ... فلم يخل من حمد له من له ثغر
ومن عدله نور على الخلق مسفر ... بضاء به أهل الإقامة والسفر
ومن هو ليث يحذر الليث بطشه ... وبحر بأدنى فيضه يغرق البحر
أديم وشبلاه بدورا منيرة ... بهم يهتدى في ظلمة النوب الدهر

ملحق رقم (٧)[١]

سما لك النصر والتأييد والظفر ... وناب منك العداة الناب الظفر
وأقبلت نحوك البشرى بفتح هدى ... وناب قبل لما يهتدي البشر
فتح مبين أبان الله شهرته ... فعامنا لحبور عمنا شهر
سرت به أنفس الإسلام وارتفعت ... لها به فوق أطباق العلا سرر
ويح النصارى حماة الشرك من شرك ... لم يحمهم منه أنصار لو انتصروا
كانوا نجوم ضلال يهتدى بهم ... أتباعهم لمهاوي الهلك فانكدروا
أذل كل عزيز من ثغورهم ... وهمشت منهم الهامات والثغر
فأنزلوا من أعالي كل شاهقة ... لهم عليها شهيق دمعه درر
وصار تعبير رؤيا نوم بغيهم ... بأن غدوا وهم بين الورى عبر
جاشت إليهم جيوش الدين مهطعة ... جيش الخضم علاه الريح والمطر
فغادرتهم جذاذا في مساكنهم ... جزاء ما نكثوا عهدا وما غدروا
وأخرجوا من قناطير مقنطرة ... ومن قصور عدا جدرانها القصر
فاستوسقوها وحلوها شراة فتى ... نصر بن زهران آساد الشرى الزهر
لله درهم من عصبة خرجوا ... كأنما الناس أحجار وهم درر
يبادرون إلى الهيجاء كأنهم ... شباب قوم بدت قدامهم بدر
من كل قرن تكل القرن صولته ... ما قارن العزم منه الجبن والخور

---

(١) إيقاظ الوسنان ص٨٠ ـ ٨٢.

من كل شار شرى الأخرى بعاجله ... معجل لبنيها الضير والضرر
إن الشراة هم سور لملتنا ... بذلكم تشهد الآيات والسور
أكرم بهم قادة غلبا شعارهم ... ضرب تبين به الهامات لا الشعر
قبائل ليس للأعدا بهم قبل ... إلا كما قرعت بالقرعة الحجر
لا تغدون يشوسا أن تمثلهم ... بالأوس والخزرج الأبرار إن ذكروا
تجري بهم في عباب البحر ماخرة ... دسراء قد أحكمت ألواحها الدسر
تكاد أن تسبق القمري إذ عمره ... رام فطار كما جاب الدجى والقمر
حتى إذا آنست أعلام أبنية ... الإشراك واشترك التأنيس والحذر
ظلت تحدر آسادا حيا درة ... لها الوشيج عرين والظبي ظفر
فأوهنوا كلكل الإشراك وانتصروا ... من كل هدر لئيم دمه هدر
هذي التجارة لا مسك تجي به ... للدور داريين مهما عد متجر
ذوقوا بني الأصفر العاصين حرب فتى ... ما إن خلا رجب منها ولا صفر
بقرتم بطن علياكم بنقضكم ... ميثاق سيدكم يأيها البقر
فصرتم قصص السمار في سمر ... وشاع عن خير ما أذللتم الخبر
أسلمتم كل خرعوب يحار بها ... طرف الفتى زان منها الناظر الحور
رعبوبة تسحر الألباب نفحتها ... إذا تهادت فأهدى نشرها السحر
وكل طفل وليد قلب والده ... عليه من طفل الديجور ينفطر
ولو صبرتم على إبرام عهدكم ... لكنما الصبر مر طعمه صبر
يا واتر الحر لا تأمن حياتك أن ... يرميك منه بسهم قاتل وتر
ولم يفكر بعقل في عواقبه ... حارت لوقع بلايا دهره الفكر
إن ابن سيف متى أسرت سريته ... آبت يلوح على أظفارها الظفر
وإن أغار على أهل الغرور بدت ... للفتح والنصر في أنصاره غرر
ذرى العداة بريح من عزائمه ... ما قط تبقى على شيء ولا تذر
أبر في ذلهم ذو العرش حلفته ... فثوبهم ليس ترفوا خرقه الأبر

ملك عظيم جليل القدر ناصره ... ملائك الله والأسياف والقدر
مخاطر غير هياب ولا وكل ... في كل أمر له بين الورى خطر
صعب عريكته في كل معترك ... وقد تطاير من نار الوغى الشرر
إن أورد الرمح يوما في وريد فتى ... فصدر آخر رماح لها صدر
بوركت من سيد زادت به شرفا ... أصحابه شرفاء القدر واشتهروا
فما عُمان عُمان قبل منظره ... ونجل مرشد إن قاسوا وإن نظروا

ملحق رقم (٨)

هنئت بالنصر موعودا لك الظفر ... وما تحاوله يمضى به القدر
يممت نحو العدى غرا غطارفة ... شم الأنوف شدادا زانها الغرر
وفيهم سادة من يعرب سطعت ... وجوههم كبدور التم تزدهر
تخالهم فى ظهور الخيل أسد شرى ... تجري بهم في الوغي والحرب تستعر
ترمي بأنفسها والأسد حائرة ... فى مأزق الحرب والأرماح تشتجر
بوركت من ملك عدل ومن حكم ... لا زلت دهرا على الأملاك تفتخر
أنت الغني عن الأملاك كلهم ... وكل حى إليك الدهر يفتقر
فما يساويك من في باعه سعة ... أنى يساويك من فى باعه قصر
فقت البريه فى عدل وفى خلق ... وكل خلق سواك اليوم محتقر
مالي أرى عصبة تاهوا وعندهم ... سواك كل عظيم ماله قدر
ويورد الرمح فى لباتهم سلما ... وليس يصدر إلا وهو منكسر
فالحرب ساطعة والبيض لامعة ... كأنها بالصقال الأنجم الزهر
الله أكبر إن العدل مشتهر ... والجور منطمس والحق منتصر
ونار أهل الخنا والجور خامدة ... ونور أهل الهدى والدين مزدهر
ودولة العدل لازالت مظفرة ... ودولة الجهل معدوم بها الظفر
بطلية اليعربي الندب سيدنا ... ذاك الإمام الهمام الصارم الذكر
مهذب الرأي محمود الخلائق مأ ... مون البوائق صاف مابه كدر
إن صال يوما على الأعداء فى رهج ... بصارم الحد لا يبقى ولا يذر

قد أجمعوا أمرهم سرا ومكرهم ... غدرا فأعقبهم إهلاك ما مكروا
ظنوا بأن يربحوا فاجتث دابرهم ... وكيف يربح من قد خانه الظفر
تقول أجسادهم لو أنها نطقت ... عبارة: يا أولى الأبصار فاعتبروا
تعسا لهم وخسارا خاب سعيهم ... لا هم عملوا خيرا وقد خسروا
لو إن ثم عقولا يفقهون بها ... تفكروا في خطوب الدهر وادكروا
لكنهم جحدوا آيات ربهم ... إن لم يتوبوا فمأوى كلهم سقر
ومن طغى وعصى الرحمن خالقه ... فليس تنفعه الآيات والنذر
وهؤلاء طغوا في سعيهم وبغوا ... وغر بعضهم بعضا بما انتصروا
لو أنصفوا لأطاعوا الله وامتثلوا ... أمر الإمام وقاموا بالذي أمروا
لكن تواصوا بنقض العهد وانتحلوا ... خلاف ما أمروا حقا وما ازدجروا
هم البهائم حقا لا عقول لهم ... وإن رأيت خيالاً أنهم بشر
عموا وصموا نسوا ألاء سيدهم ... بلعرب نسل سلطان وما ذكروا
هم عبيد له خانوه فانهزموا ... وما يضرهم لو أنهم صبروا
خانوا فأعقبهم كفرا بنعمته ... عقوبتين وبالخسران قد ظفروا
إن أنت أبعدتهم عن دورنا مردوا ... على النفاق وإن قربتهم غدروا
غرسهم منك أخلاق مطهرة ... ورأفة ونوال منك منهمر
وما دروا أنك الملك الذي خضعت ... له ملوك الورى والبدو والحضر
وأنك الصارم البتار منصلتا ... على الأعادى وفي علياك مقتدر
ولو دروا ما بدت منهم مخالفة ... ولا أحاط بهم سوء ولا نكر
قد حاذروا من أمور أنت صانعها ... بهم نكالاً فلم ينفعهم الحذر
فرقتهم فرقا فانحل عقدهم ... بما أساؤا وعن أبنائهم نفروا
فمنهم في عذاب لا نفاذ لهم ... ومنهم في قيود فكها عسر
ومنهم في مطامير مضيقة ... بها الأراقم والديدان والقذر
ومنهم في رؤوس الشم منهزما ... ومنهم في مفازات وما قبروا

والحمد الله نحن السالمون ولا ... يسومنا حال قوم إن هم كفروا
يا أيها الناس إن كنتم أولو بصر ... وليس يعقل إلا من له بصر
ففكروا واذكروا آلاء سيدكم ... فهو الإمام الكريم الباسل النمر
ومن أتى الذنب منكم فهو يغفره ... وكل ذنب سوى الإشراك منتفر
إن الإمام لكم حصن وملتجأ ... من العدى فاشكروا نعماه وائتمروا
إن تشكروا تفلحوا دنيا وآخرة ... فإنه من ذوى الكفران منتصر
ولا تقولوا غنينا عن مواهبه ... فكل خلق إلى جدواه مفتقر
لا يعرف الخلف فى وعد ولا عدة ... وإن أتاه فقير ليس يعتذر
يقظان إن يمّ العافون ساحته ... أغناهم بنوال منه ينهمر
إن عد فى الجود يوما لا يشاكله ... فى جوده الأجودان: البحر والمطر
وإن بدا طالعا لآلاء غرته ... تكوّر النيران: الشمس والقمر
ولو وزنّا جميع الخلق قاطبة ... بظفر خنصره أزرى بهم ظفر
يا أيها الملك المرجو إن لنا ... لحاجة نحن نرجوها وننتظر
فما بسطت يدي أرجو مساعدة ... إلا وكفك لي بالجود ينحدر
وكيف أجحد نعمى وهي سابقة ... علي فى صغري حتى أتى الكبر
لو أن نجلي وعمي وابنه وأبي ... عادوك عاديتهم دينا وإن هجروا
والله لو أغمرت نفسي مخالفة ... لكم تبرأت منها كالذى غبروا
لك الممالك والعلياء كاملة ... وللأعادي تراب الأرض والحجر
وعش وهم وابق مسرورا ومبتهجا ... فى قصر (يبرين) يجرى تحته نهر
قصر مشيد يسر الناظرين إذا ... نظرنه زال عنك الهم والكدر
فيه السرور وفيه كل فاكهة ... يحوطه النخل والرمان والشجر
وفيها ما لا رأت عين ولا خطرت ... به الخواطر والأوهام والفكر
كأنه جنة الفردوس منزلة ... فيها الفواكه والخيرات والسرر
وحوله روضة غناء وارفة ... فيها الأطايب والأشجار والثمر

من حسنها وسنا أنوار بهجتها ... إذا نظرت اليها يقصر النظر
هنئته ببقاء لا نفاد له ... مخلدا فيه ممدودا لك العمر
والباغض الحاسد المحزون فى وله ... مكبل حظه الأحزان والسهر
وأنت فى درج العلياء مرتقيا ... ما مر ذو الحجة الزهراء أو صفر
وأنت خدن المعالي يا خليفة من ... تضمنت مدحه الآيات والسور
هو النبي الرضي المبعوث من مضر ... ناهيك من جده عدنان أو مضر
نشرت مدحك فى الأفاق ما طلعت ... شمس وما لاح فى جنح الدجى قمر
أنت الخلائق والدنيا وبهجتها ... لولاك ما كانت الدنيا ولا البشر

الملحق رقم (٩)[١]

إذا ما بدا برق بعُمان لامع ... شجتنا رسوم أقفرت ومراتع
وإن حنّ رعد فى السحاب تصاعدت ... لنا زفرات واستهلت مدامع
رسوم بها الأحباب كانوا فأصبحت ... مغبرة الأرجاء فهى بلاقع
وأضحت ظباء الوحش فيها رواتعا ... وكان بها البيض الحسان الروائع
نواعم أبدان خرائد نهد ... كواعب غزلان بدور لوامع
إذا قنصت قلنا بدور تجلببت ... وإن سفرت قلنا شموس طوالع
تموت قلوب ثم تحيا لأجلها ... إذا ارتفعت عن وجههن البراقع
كرائم لا تصبوا لفعل دنية ... عليهن من حسن اللباس وشائع
تحف بها الفرسان من كل جانب ... كراما بأيديها عوال شوارع
ومرد على جود كآساد بيشة ... لباسهم زغف دلاص موانع
أكاد من الأشواق بعد أحبتيي ... أذوب أسى لولا الدموع الهوامع
حكى فيضها فى الجود كف ابن سيفنا ... هو الغضب للأعداء والرمح قامع
جواد كريم أريحي سميدع ... عفيف تقي زاهد متواضع
سليم ذكي الذهن نقصان ماله ... من الدهر غير المكرمات بضائع
هو الفذ سلطان بن سيف بن مالك ... له شهدت يوم الهياج مصارع
أياديه لا تحصى عدادا وكثرة ... وساحته للأكرمين جوامع

---

(١) ديوان المعولي ص٢٣٥ ـ ٢٣٩.

له الشكر والحمد الجزيل مقدما ... وأندية للطيبين مراتع
خزائنه مفروغة لعفاته ... وأمواله للعالمين منافع
إذا ما التقى الجمعان ليث غضنفر ... وإن فرت الشجعان فذ مدافع
تمر على الجرحى وثغرك باسم ... وقتلى الأعادى سجد ورواكع
له خلق عذب إذا ما تغيرت ... إذا قال كل للمقالة سامع
شمائله محمودة وطباعه ... كريم طويل الباع والصدر واسع
شديد على أهل المناكر والخنا ... حميد المساعى وهو لله طائع
إذا سار يوما أو أقام بموضع ... تحاسدت الأرضون منها للمواضع
كريم له نفس تنازع فى العلى ... وليست لغير المكرمات تنازع
يد خلقت للبذل والجود مالها ... سوى الجود والإحسان فيه مصانع
إذا حل أرضا حلها الجود والغنى ... وقام بها فصل القضا والشرائع
فلا حالل فى الأمر ما هو عاقد ... ولا فائق الأمر ما هو واقع
ولا نافع يوما لما هو حارم ... ولا حارم يوما لما هو نافع
ولا قاطعا شخصا له وهو واصل ... ولا واصل شخصا له وهو قاطع
ولا مبعد فى الخلق ما هو مرتض ... ولا نابذ فى الخلق ما هو شارع
نظيرك مفقود وضدك هالك ... وظلك ممدود وسعدك طالع
وحوضك مورود وجدك سامك ... وبابك مقصود وذكرك شائع
وكفك ممدود ومالك نافع ... وجودك موجود وقلبك خاشع
ورأيك محمود وبحرك زاخر ... وبيتك مصمود وبرقك لامع
وحلمك محسود وراجيك واثق ... ونجمك مسعود وبأسك باخع
ولا تنس سيفا نجل سلطان سيفنا ... هو الغضب حدا لم تهله الوقائع

ملحق رقم (١٠)[1]

ألا فانظروا كيف الأعاجم صاروا ... غدوا شجرات مالهن قرار
طغوا وبغوا في الأرض حتى أصابهم ... عقاب أليم مهلك وتبار
فحلت بهم من مالك الأمر نقمة ... وسوء عذاب دائم ودمار
وقد ضربت أعناقهم بمناصل ... كما خربت دور لهم وديار
فصاروا بها رغم الأنوف كأنهم ... سماحج وحش عاقهن دثار
وقد شربوا كأسا من الحتف والردى ... فخروا على الأذقان وهي تدار
مطايا المنايا للبوار فباروا ... بخيل وقد جروا الذيول وحاروا
وقد حملتهم حين ما عاينوا الظبى ... وجروا على أذقانهم بعد ما جروا
ليعلم ملك العجم أن جيوشه ... إلى الموت قد يسري بهم ويسار
فدوخهم بالمشرفية فيلق ... عظيم..لديه المعظمات صغار
وقد أيموا من بعد ذلك نسوة ... عراهن مع سوء الحياة صغار
تباكى عليهم بالنهار وبالدجى ... وأدمعها عند البكاء غزار
كأنهم لم يعلموا أن باعنا ... طويل.. وأعمار المداة قصار
دماؤهم هدر ولكن ضربنا ... لأعناقهم يوم النزال جبار
وما ذاك إلا من خساسة طبعهم ... يقولون أصفان الرجال قمار
وليلة سعد مزق السيف ثوبها ... كأن دجاها بالسيوف نهار

---

(١) ديوان الحبسي. ص٦٠ ـ ٦٣.

تزاحمت الأبطال فيها سحائبا ... من الحرب حمرا حشوهن غبار
كأن يحامم العجاجة عارض ... تلامع فيه كالبروق شفار
فما زالت الهيجاء حتى تفرقوا ... ولكن عرتهم ذلة وفرار
وقد صارت البحرين في ملك سيد ... كريم زكا فرع له وبحار
سلالة سيف نجل سلطان الذي ... لنا أمنت سوح به وقفار
هنيئا إمام المسلمين ببلدة ... بكم طاب فيها مفخر وفخار
لقد كان فيها للأعاجم غبطة ... فزموا مطايا البين منها وساروا
نعم وسقوا من منهل الحتف شربة ... بها من عقار الموبقات عقار
فولوكم أدبارهم وتبلدوا ... وقد وقفوا دون المحيص وحاروا
وكانوا بها أسدا فلما غزوتهم ... غدوا بقرا عونا لهن خوان
رأوا منكم ما لا يرى بخت نصر ... وما لا يراه مصدع وقدار
فلم يبق فيها للأعاجم ملجأ ... ولم يبق فيها لليهود حمار
ولم يبق إلا من تراه مجدلا ... قتيلا ومن بين الرجال يجار
فلم يحمهم من أسيف الأسد قلعة ... ولما يصنهم معقل وجدار
وما ضرنا من غير موت كرامنا ... لأنهم عدل بها وخيار
كحمير الزاكي ابن سيف بن ماجد ... فتى بعده النوم اللذيذ مطار
ونجل عزيز راشد ومبارك ... سليل غريب هم هديت ذمار
ولم أنس ذاك الحضرمي محمدا ... فموتته للمسلمين خسار
شجاع كفاح لم يقاومه ضيغم ... وعضب وغي لم ينب منه غرار
ولكن صبرا فالسنون حوامل ... وفيها الليالي ولد وعشار
و للفلك الدوار عظم عجائب ... وفي دهرنا للدائرات مدار
ودم يا إمام المسلمين مظفرا ... طوال الليالي لا نبت بك دار

ملحق رقم (١١)[١]

مطلعها:

حيا الأحبة بالتسليم فاستلموا ... يدي وقد كان توديعا سلامهم

سقاك يا دار من تهوى زيارتهم ... مثعنجر من صبير المزن منسجم

ومكفهر أجش الصوت مرتجس إلا ... رعاد محتلس الإبراق مرتكم

سقاك قبل نزول الوابل الرهم ... ريا وروتك ريا بعده الديم

كجود سيف بن سلطان الذى غرقت ... من جوده الواسعات السهل والأكم

فهو الإمام الذى دانت لسطوته ... أعداؤه ومسلوك الأرض كلهم

اليعربي الأباضي الذى قصرت ... عن نيل رتبته العرباء والعجم

فاق الملوك بدين خالص وندى ... وشيمته قصرت عن فضلها الشيم

العفو والعدل والإحسان عادته ... والبأس والجود والإنصاف والكرم

ملك حوى الدين والدنيا فأنفق دنياه ... على الدين وازدادت له النعم

إن تسألنى عن الخيل التى ملكت ... يداه سلنى فإني عارف فهم

تسعون ألف حصان من كرائمها ... غير الرماك فما فى قولنا وهم

فالكمت منهن والشقر الكرام ... ومنها الشهب والبلق والغربيبة الدهم

كريمة عودت أمر الحروب فما ... يعي عليهن إلا النطق والكلم

---

(١) ديوان الحبسي ص٨٥ ـ ٩٢.

سنذكر البعض منها فى قصيدتنا ... يا قوم فاستمعوا للقول تغتنموا
نفى غزيلان والصفات مبتدأ ... لنا وبالكاملين المدح يختتم
وفتح خير صباح الخير جوهرها ... الميمون والفهد والمنصور جيشهم
والنجم والباز والعفريت إن لحقت ... بلاحق الخير وافاها سرورهم
وفى دهام وفى صبحان فائدة ... ولا عسرة عندها تخشى ولا عدم
والحاجز الجيد المعروف عند مسا ... الخير الكريم فتلكم للعدا نقم
من هديبان أنوار لنا وهدى ... وعن عبيان أصحاب الضلال هم
وعند زائد خير فى تجارتنا ... ربح وأهل أبي الغارات قد غنموا
أكرم بها حصنا لو أنها صدمت ... رضوى لأضحى هشما وهو منهدم
تعدو فتكبو الرياح الهوج من خجل ... منها فيسكنها الاعياء والسأم
فلو قطعت بها البيداء معتسفا ... جرت ولم يعيها سهل ولا علم
ولو أردت بها صيدا لأصبح من ... قنيصك الأيلات الغلب والعصم
ولو أردت تصيد الطائرات بها ... لكان من صيدك العقبان لا الرخم
ولو تسلطها يوما على أسد الشرى ... لما أحصنتها الغيل والأجم
كادت تكون مع العنقاء طائرة ... لو لم يكن بيدى فرسانها اللجم
فكيف يقوى العدا يوما على شهب ... بها الشياطين فى يوم الوغى رجموا
لم ينج منهزم منهن ملتجأ ... لو أنه برؤوس النيق معتصم
تستغرق البر والأمطار ساكبة ... وتقطع البحر والأمواج تلتطم
ومن طمراتها ألف معودة ... للحرب يا شقوة الأعداء لو علموا
منها الغزالة تقفوها العلالة تت ... لموها الجرادة حين القوم تصطدم
وأم رزين لا تهوى العصا ومع الن ... عاشة الخير لا لؤم ولا ندم
وعد أولادها ألف مبينة ... من الإناث ومثلاها مهورهم
فهذه الشزّب الجرد السلاهب في ... يوم الحروب بها الأعداء تخترم
كادت تعز على من شاء يملكها ... لو لم يسخر لنا ها الواحد الحكم

حمدا وشكرا وتعظيما له ولها ... كما تهني بهن السادة البهم
أعنى الامام الذى زانت بطلعته الدنيا ... وذلت له أعداؤه الغشم
فهو الكريم الذى يعطيك نائله ... وهو الشجاع الذى تلقى له السلم
وهو البصير بحالات الأمور وقد ... يعفو ويصفح عن قوم وينتقم
من عدله أمنَ الناس الخطوب على ... نفوسهم وتآخى السبع والنعم
جرت عمان به ذيلا فعاد بها ... عصر الشباب وولى الشيب والهرم
سراجها نورها الذمر ابن بجدتها ... مقدامها فى التلاقى سيلها العرم
المخصب الأرض والأنواء باخلة ... والتارك القوم صرعى وهو يبتسم
المورد السيف فى يوم الكريهة من ... هام الكماة ونار الحرب تضطرم
ما إن لهم ملجأ منه ولا وزر ... فى الحرب لكنهم إن سالموا سلموا
لولا كم ابن سلطان لما اتضحت ... طرق الرشاد وزلت بالورى القدم
يا خير من نصبت رايات دولته ... يوم النزول ومن شيدت له ألاطم
الله يبقيك فى خير وعافية ... ونعمة وحياة ليس تنهدم
جد لي بحسن قبول منك أحظبه ... فما مرادى سوى فوزى بقربكم
إن نلت هذا الذى أملت من أمل ... فقد ظفرت بحظ ليس ينجذم
إن القرائح محياها ومهلكها ... وضعفها وقواها منكم بكم
ما كل من رام نظم الشعر يحسنه ... منهم فرب سمين شحمه ورم
ما كان حال بغاث الطير إن سجعت ... وقد أطل عليها الأجدل القرم

ملحق رقم (١٢)[١]

بلغت المعالي وامتطيت المراتبا ... وأصبحت للمجد المشرف صاحبا
وسدت الورى جودا وبأسا وهيبة ... وعدلا إلى أن صار خصمك خائبا
وأعددت للباغين جيشاً عرمرما ... يسد النواحي شرقها والمغاربا
وقد مُلئت منها القلوب مسرة ... سررنا بها لما قضيت المآربا
وقاك إله العرش كل كريهة ... نعم، ووقاك الحادثات النوائبا
لك الشرف العالى الذى بلغ السما ... إلى أن علا أفلاكها والكواكبا
محمد يا خير امرئ أهلك العدا ... قتالاً وقد أفنى الشراء مواهبا
فكم يتمنى هذه يا ابن ناصر ... يروح ويغدو لابنه المجد خاطبا
وتأبى المعالي أن يكون مباهيا ... لكم فى العلا أو أن يكون مجاوبا
فما كل من يهوى المراد ببالغ ... مناه ولا كل الفحول ضواريا
فلن يبلغ العلياء إلا الذى له ... عزائم يسبقن القنا والقواضبا
وقلب قوى يقصر الرعب دونه ... ورأي يرى من حسنه الحزن ذاهبا
ولامة صيد تترك السيف نابيا ... وصارم عزم يترك الليث هائبا
وبذل ندى قد يخجل المزن كثره ... وبأس به يضحى أخو البغي عاطبا
وجيش فلو أوردته البحر ساعة ... الوغى وهو طام أصبح البحر ناضبا
وحزم أذا أبرمت أمرا وقسته ... فلم تقض حتى تستبين العواقبا

(١) ديوان الحبسي ص١٥٣ ـ ١٥٦.

وحلم وعفو واسع عند قدرة ... فهذا الذي أضحى على البحر واجبا
ومن أخطأ الرأي السديد فلم يلم ... سوى نفسه والدهر يبدي العجائبا
ومن جرب الأشياء لم يغترر بها ... كفى بحلول الحادثات تجاربا
ولن يبلغ العلياء يا ابن ابن عامر ... فتى ليس يهريق الدماء السواكبا
ولا يسلم الحر الكريم من الأذى ... وكيد العدا حتى يصير محاربا
إذا أنت لم تظلم ظُلمت ولم تهب ... ونال معاديك المنى والمطالبا
وحرب الأعادى إن تقاصرت دونها ... عدمت الظهير المستعان المصاحبا
فلا رأى إلا أن تصول بفيلق ... فتصبح للضد المعاند سالبا
وإنى رأيت الصبر أجمل للفتى ... ولكنما الدنيا لمن صار غالبا
فحارب وأسعر للوغى نارها التي ... يؤوب بها العاصي أخو البغي تائبا
ومن يشتر الأحرار يربح تجارة ... ويبقى عزيزا للمحامد كاسبا
وأربح من فى الأرض من يعرف الورى ... اختبارا ويشرى بالأسود الشعالبا

ملحق رقم (١٣)[١]

طلت عمرا وعشت نصرا وعزا ... وجزاك الإله خيرا فأجزى
وبلغت العلا وأوسعت أعدا ... ءك ضربا لهم وطعنا ووخزا
وضربت العدو بالسيف ضربا ... ووكزت الحساد بالغم وكزا
كم محب سررته وعدو ... لك صيرت قلبه مشمئزا
ثم أغفيت ذا الخصاصة بالما ... ل وفقت الملوك جندا وبزا
يا فتى ناصر محمد يا من ... بسطاه يصير الليث عنزا
طاب محياك أنت من كرم ... الله عزيز إلى المكارم تعزى
كم غدونا لما بلغت ذرى ... المجد نهنى ومن قلاك يعزى
لا ترُف بالعدو حتى تراه ... واهي العزم واقفا عنك عجزا
وإذا ما غلبته فاجعل الحز ... م مجنا منه وركنا وحرزا
إنما الفخر للذى حكم الصمصا ... م في رأيه وعز وبزا
وإذا جاد أخجل المزن حتى ... أصبح المزن من عطاياه لحزا

(١) ديوان الحبسي، ص١٦٧ ـ ١٦٩.

ملحق رقم (١٤)[١]

لقد أيد الله ابن مرشد بالنصر ... ففاق بما أوتيه في آخر العصر
فلله ما أوتي من العلم والتقى ... هناك على حسب الكفاية والحصر
به قد أزال الله عن ملة الهدى ... عظائم أحوال تؤدي إلى الكفر
به أيد الدين الحنيفي فاغتدى ... مصبونا من الأسواء والحرب والوزر
وفاق على الأديان طولا وبهجة ... وقد محيت لما أتى ملة الكفر
كفينا به جور الأعادي وكيدها ... وما استلبت يوما من الناس بالقهر
هنيئا لما أعطي وطوبى لما حُبي ... قمينا بما أُوتي من الخير والأجر
أقام بنا كالشمس في أفق العُلى ... وفي حندس الديجور للناس كالبدر
به افتتح الرحمن قلعته التي ... برستاقة قهرا وقد فاز بالنصر
وطهرها من كل بغي ومنكر ... وقد كان فيها ذلك الفعل بالجهر
ونزهها بعد الفجور فأصبحت ... كيثرب في التنزيه والعدل والطهر
فلا بعمان مثلها قط قلعة ... مشيدة البنيان من سالف الدهر
فيا ربنا أنعم علينا بوجهه ... لك الحمد يا معطي الجزيل مع الشكر
فما زال فينا فالهدى هو واضح ... ومن بعده لله عاقبة الأمر

---

(١) شقائق النعمان ج ١، ، ص٦٣ ـ ٦٤.

ملحق رقم (١٥)

هنيئا لما نال الإمام من الفضل ... ومن حسن أخلاق ومن كامل العقل
به قد هدينا من غياهب جهلنا ... ومن سوء عقبانا إلى واضح السبل
إذا اشتغل الأقوام يوما بلهوهم ... فطاعة مولاه له أحسن الشغل
به اندرست كل العمايات وانجلت ... عن الناس أصناف الغوايات والجهل
به قد هدينا من ضلال وباطل ... إلى منهج الرضوان مع صالح الفعل
فما طلعت شمس النهار على الملا ... لطاعته في الأمر والنهي في الكل
وولي ابن سيف الجو وهو محمد ... على البر والإحسان على سائر الفضل

ملحق رقم (١٦)[١]

لقد لاح نور الحق والرشد قد بدا ... وأشرق برهان الإمامة والهدى
وأصبح ركن الغي والجهل طامسا ... وركن الهدى والدين أضحى مشيدا
وأمسى به الدين الحنيفي مشرقا ... وما انفك دين الشرك ولأفك أسودا
إمام الورى قم في الطغاة مجاهدا ... فإنك منصور السرايا على العدى
ولا زلت للإسلام شمسا منيرة ... ولا زلت للكفار حتما مبددا
ولا تنس من هم جبرة سيد لنا ... فسحقا لهم من جبرة خلقت سدى
وكم تصدر الأخبار عنهم بسوئهم ... ورب العلى يكفي عدوا توعدا
يعز علينا أن نرى سوء فعلهم ... بجامعنا إن كان قدما مشيدا
ودور لنا بالأمس كانت منيرة ... مغلقة الأبواب لن تتهددا
قضى الله فيها ما قضاه بأهلها ... فيا ليتها عن أهلها كانت الفدا
ولكنما نرجو من الله رحمة ... ونصرة مولانا الإمام ابن مرشدا
أمد له الرحمن في طول عمره ... وأسكنه بحبوح جنته غدا
فعش سيدي في العز والنصر والعلى ... كفيت الأسى واللوم والمقت والردى
بك الدين والحق المبين تكاملت ... نضارته والبطل أمسى مبددا
كذا زمن فيه الإمام تطاولت ... لياليه بالأيام والرشد والهدى
له شيم محمودة في فعالها ... على الحصر والإحصاء لن تتعددا

(١) شقائق النعمان، ص٦٤ ـ ٦٥.

سألناك يا ذا الطول والحول والبقا ... دواما له في مدة الدهر سرمدا
فلا زال للإسلام كهفا وموئلا ... ولا زال حقا للذي جار واعتدى
إذا فاه في النادي بوعظ لقومه ... لعمرك يجلو كل قلب من الصدا
به انتظم الإسلام من كل جانب ... كذالك به شمل الضلال تبددا
فلا زالت الأوقات تزهو بوجهه ... جمالاً ولا زال السرور مجددا

ملحق رقم (١٧)[١]

كشفن عن تلك الوجوه الصباح ... إذ زُمّت العيس ليوم المراح
وجئن يختلن يعاتبنني ... يبسمن عن در كلون الأقاح
خامرهن الشك في عزمتي ... فقلن جدّ منك أم ذا مزاح
أسبلن دمعا هاملا هاطلا ... صرت في عزم النوى باتضاح إذ
فشبهت اللؤلؤ والدر من ... فيهن والنظم وعقد الوشاح
حتى إذا ما قربت ناقتي ... نحو رحالي واحتملت السلاح
أقبلن كئيبات يودعنني ... مددن إلي الأكفاف السماح
صافحنني بكما بلا منطق ... مني ومنهن وكنا فصاح
من عبرة حلت بنا لم تزل ... ما بيننا تذري الدموع السفاح
كأنما النطق حرام على ... ألسننا والدمع منا مباح
قد شحت الألسن بالنطق إذ ... جادت عيون بالدموع القراح
لا تجزعي يوم النوى خُلتي ... لكل ليل مدلهم صباح
ولذة العيش وطيب الكرى ... إذ غبت عنا والجسوم صحاح
قلت يروح الجسم مني ولن ... يروح فؤادي إليكن راح
وكل حي غائب آيب ... لو طول الغيبة والانتزاح
فصرت مسلوب الحشى ذا أسى ... من أجل هجر كل خود رداح

---

(١) شقائق النعمان ج١ ص٦٦ ـ ٦٨.

يزيد ما بي واشتياقي إذا ... ما قد بدا برق بسيما ولاح
أوشمته لاح لدى العين أو ... فوق الأفانين إذ الورق صاح
أو إن تذكرت ديارا زهت ... من سمد الشأن وتلك البطاح
أو ساق لي يوما نسيم الصبا ... من روضها نشر الخزامى وفاح
أطوي الفلا واليم في فيليق ... يطفئ ضوء الشمس والجو صاح
حتى أتينا بتة بالضحى ... ثم نزلناها بأرض براح
قلت لأصحابي لا تحزنوا ... من عنده الله فلا يستباح
إصطنعوا الصبر ولا تجبنوا ... عند الوغى فالجبن لؤم صراح
ثم اعلموا لا بد للمرء من ... موت وبالهندي فيه فلاح
فامتثلوا الأمر ولا قصروا ... وجردوا أسيافهم والرماح
فاقتحموا السور كأسد الفلا ... واشتدت الحرب وضرب الصفاح
كأنما القتلى بأرجائها ... من فئة الافرنج صرعى طراح
كأنهم أعجاز نخل بها ... منقعر من عاصفات الرياح
فانهزم الإفرنج من بتة ... بالذل والخزي وبالإفتضاح
بعدا لهم بعدا وسحقا لهم ... من قوم سوء ووجوه قباح
بعزم سلطان بن سيف الذي ... أباد أهل الكفر يوم الكفاح
وكفه من حمل صمصامه ... بضرب أعناق العدى ما استراح
يفر من الجحفل المجر من ... خوف عليه في الوغى من الجناح
ملك ملوك الأرض إن قبلوا ... أقدامه فخر لهم وامتداح
واكف كفيه لسؤاله ... قد خجلت منه الأكف السماح
يعطي بلا من يكدر ما ... أعطاه أهل الفقر بل ارتياح
هو الإمام العدل في دينه ... وملكه يسعى بأمر الصلاح
أدامه الله وشبليه ما ... دام مدى الدهر المسا والصباح

المصادر والمراجع

- إبراهيم المحمود، فن الحرب عند العرب في القرن الثاني عشر «الحروب الصليبية»، تقديم حسن علي توركماني، ط١ دمشق ٢٠٠٧.
- أبو تمام، ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، ط ٤، دار المعارف، مصر.
- الأنصاري، حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبدأ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢ ١٩٩٤.[
- البدراني، عبد الستار، مجلة أفق الثقافية، أغسطس ٢٠٥.
- البطاشي، سيف بن حمود، إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان، ط ـ ١ ـ ت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
- بشار بن برد، ديوان بشار، شرح صلاح الهواري، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م، ج ١.
- بلمليح، إدريس، المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام ـ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب ـ ط ١ ـ ت ـ ٩٩٥ ١.
- الجنزوري، علية عبد السميع، الثغور البرية الإسلامية على حدود

الدولة البزنطينية في العصور الوسطى، مطابع سجل العرب القاهرة، ١٩٧٩.

- الحبسي، راشد بن خميس، ديوان الحبسي، تحقيق عبد العليم عيسى، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان.

- حبيبي، ميلود، نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٢٤، ط١، ١٩٩٣.

- حجاب، محمد منير، الحرب النفسية، دار الفجر للنشر القاهرة، ط١، ٢٠٠٥

- حسونة وآخرون، خليل ابراهيم، الحرب النفسية الحديثة (الدعاية، الإشاعة، غسيل المخ، ميادين أخرى)، وزارة الإعلام، فلسطين، ط١.

- الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ج١، ب ط، ١٩٨٤.

- الخصيبي، محمد بن راشد، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ج١، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٣، ١٩٩٤، ص ٦٦ -

- دياب، صابر محمد، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية، ١٩٨٤.

- رشتى، جيهان أحمد، الإعلام واستعمال الراديو في الحرب النفسية، دار التوفيق للطباعة القاهرة، ١٩٨٥.

- الرواحي، سالم بن محمد، الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة من سنة ١٠٣٤ - ١١٣٣ هـ، ط١، ٢٠٠٣.

- السالمي، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ٢، مكتبة الاستقامة ١٩٩٧.

- ستروكوف، تاريخ فن الحرب مجتمع الرق والإقطاع، موسكو. دار المنشورات العسكرية ١٩٦٦، مجلد ١.

- سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق كرم البستاني، دار صادر بيروت.

- حميدة سميسم، الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

- السيد، حافظ، المسرح السياسي أدب الحرب، ١٩٤٨، الاسكندرية، ٢٠٠٦.

- سيد فرج، قادة الحرب العرب، دار الفكر العربي، ط١ القاهرة ١٩٥٨.

- شامي رشاد عبدالله، عجز النصر، الأدب الاسرائيلي وحرب ١٩٦٧، ، دار الفكر القاهرة ١٩٩٠.

- شداد، عنترة. ديوان عنترة بن شداد، مطبعة الآداب، بيروت، ت ١٨٩٣.

الطريسي، أحمد، النص الشعري بين الرؤية البيانة والرؤية الإشارية، ط١، الرباط ٢٠٠٠.

- العيد، يمنى، الكتابة تحول في التحول مقارنة للكتابة الأدبية في زمن الحرب اللبنانية، ، بيروت، ١٩٩٣.

- الغشري، سعيد بن محمد بن راشد، ديوان الغشري، تحقيق عبد المنعم خفاجي، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان.

- الفزاري، بشير بن عامر، ديوان الفزاري، تحقيق وتعليق مهنا بن خلفان الخروصي، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية، ط١

- القيسي، نوري حمودي، شعر الحرب عند العرب، منشورات دار الجاحظ العراق ط، ١٩٨١.

- معمر، يحي. الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، ط٢، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ص ٩٤

- المعولي، محمد بن عبدالله بن سالم، ديوان المعولي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ١٩٨٤.

- منير شفيق، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب من السيف والدروع.. إلى الصاروخ والأنفاق، مع ملحق بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الإسلامية الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط١ ٢٠٠٨.

- نوفل، أحمد، الحرب النفسية، ج١، دار الفرقان، الأردن ط٢ ١٩٨٥.

- وندل فليبس، تاريخ عمان - ترجمة محمد امين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٩٨١.
- الهرفي، محمد، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣.
- هيكل، أحمد، الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، القاهرة، ٢٠١٠.

المحتوى

مقدمة ٥

الفصل الأول

الصورة الحربية وبعدها الدلالي عند شعراء اليعاربة ١٣

المبحث الأول: صورة المحارب وسماته الحسية والمعنوية ببعدها

الدال في فضاء النص ١٥

أولاً: صورة القادة ١٥

أ ـ الأنموذج الأول: لخلف بن سنان ١٧

ب ـ الأنموذج الثاني: للمعولي ٢٩

ثانياً: الجند وسماتهم الحسية والمعنوية ٣٨

أ ـ الأنموذج الأول: للشاعر خلف بن سنان ٣٨

ب ـ الأنموذج الثاني: لبشير بن عامر الفزاري ٤٨

المبحث الثاني: الأدوات الحربية وبعدها التصوري ٥٥

أولاً: صورة الخيل ٥٦
ثانياً: الأدوات الحربية الأخرى ٦٦
أ ـ الأنموذج الأول: للمعولي ٦٦
ب ـ الأنموذج الثاني: للحبسي ٦٨
ج ـ الأنموذج الثالث: للغشري ٧٠
المبحث الثالث: الفنون الحربية وأبعادها الدلالية ٧٣
أولاً: وصف مجريات المعركة ٧٤
ثانياً: استراتيجية مهاجمة العدو ٨٠
أ ـ الأنموذج الأول: للمعولي ٨١
ب ـ الأنموذج الثاني: للغشري ٨٤
المبحث الرابع: الأبعاد الزمانية والمكانية ودلالتها ٨٧

الفصل الثاني

البعد النفسي ودلالته في شعر الحرب ١٠١
المبحث الأول: صورة الحرب النفسية الاستعراضية ١٠٣
أولاً: أنموذج الغشري ١٠٤
ثانياً: أنموذج الفزاري ١٠٩
ثالثاً: أنموذج الغافري ١١٢

المبحث الثاني: صورة الحرب النفسية التكتيكية أو التعبوية ١١٩
أولاً: أنموذج الحبسي ١٢٠
ثانياً: أنموذج الصارمي ١٢٣
ثالثاً: أنموذج للفزاري ١٢٨
رابعاً: أنموذج للحبسي ١٣١
خامساً: أنموذج للغافري ١٣٣
المبحث الثالث: صورة الحرب النفسية التعزيزية ١٣٧
أولاً: أنموذج للغشري ١٣٧
ثانياً: أنموذج للحبسي ١٤٠
ثالثاً: أنموذج الحبسي أيضاً ١٥٠
الخاتمة ١٥٣
التوصيات ١٥٥
الملاحق ١٥٧
الملحق رقم (١) ١٥٩
الملحق رقم (٢) ١٦٢
ملحق رقم (٣) ١٦٤
ملحق رقم (٤) ١٦٦

الملحق رقم (٥) ١٦٧
ملحق رقم (٦) ١٧٢
ملحق رقم (٧) ١٧٤
ملحق رقم (٨) ١٧٧
الملحق رقم (٩) ١٨١
ملحق رقم (١٠) ١٨٣
ملحق رقم (١١) ١٨٥
ملحق رقم (١٢) ١٨٨
ملحق رقم (١٣) ١٩٠
ملحق رقم (١٤) ١٩١
ملحق رقم (١٥) ١٩٢
ملحق رقم (١٦) ١٩٣
ملحق رقم (١٧) ١٩٥
المصادر والمراجع ١٩٧

جامعة نينوى
University of Nineveh

هذا الكتاب

جاء اختياري لقصائد مثّلت لغة الشعر الحربية عند شعراء الفترة، أمثال: الفزاري، والحبسي، والمعولي والصارمي والغافري والغشري، متخذاً من شعرهم نماذج دالة على القضايا التي تناولها هذا البحث الذي جاء: بمهاد حاول تحديد مصطلح مفردة الحرب، وفصلين، وخاتمة، قرأ الفصل الأول، الصورة الحربية وبعدها الدلالي عند شعراء اليعاربة، بينما قرأ الفصل الثاني، البعد النفسي ودلالته في شعر الحرب، معتمداً في دراستي على المناهج النقدية، الوصفية التحليلية في قراءة البعد التصوري لشعر الحرب.

ISBN 978-999695727-7
9 789996 957277